أحمد جمال عبد المنعم

يوسف صديق
حقيقة ثورة يوليو



يوسف صديق

حقيقة ثورة يوليو

تأليف

أحمد جمال عبد المنعم





رئيس مجلس الإدارة

د. حسن أبو طالب

سلسلة كتب ثقافية

تم التنفيذ فى مطابع دار المعارف
- ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة -
جمهورية مصر العربية

المؤلف: أحمد جمال عبد المنعم

رقم الإيداع بدار الكتب:

٢٧,٥ / ٢٠ سم

القاهرة: الطبعة الاولى ٢٠١٤

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

إهـــداء

إلى روح البطل يوسف صديق
وإلى كل وطنى شريف عاشق تراب مصر

أحمد جمال

تقديم

(بقلم سهير يوسف صديق)

هذا الكتاب الذى أعده الأستاذ«أحمد جمال» عن الدور العظيم الذى قام به البطل «يوسف صديق» ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م والذى فجَّر الثورة فى مصر وألغى الحكم الملكى الفاسد. اعتبر هذا الجهد الذى بذله هذا الكاتب وهو أحد أبناء مدينة الواسطى الذين تأثروا بشخصية البطل «يوسف صديق» وشرع يكتب عن دوره فى تغيير تاريخ مصر الحديث لمسة وفاء وعرفان. لقد بذل الكاتب الجهد الكبير الرائع فى البحث والتنقيب فى أوراق «يوسف صديق» ومعظم الكتب التى صدرت عن تاريخه وبطولاته والكثير مما كتب عنه فى الصحف والمجلات المصرية والعربية.

ولقد لفت نظرى القصائد التى اختارها الكاتب من ديوان (ضعوا الأقلام) الذى صـــدر عن (الأهرام) مثل قصيدة (رسول الغرب) التى يتحدث فيها عن زيارة «منزيس» للقاهرة وكيف أنه أعطاه درساً فى احترام وتقديس البلد الذى يقوم بزيارته واصفاً مصر بالعرين الذى يبهر من يزوره.

ومن القصائد الأخرى التى اختارها الكاتب قصيدة (استقبال

الصديق)، وهو ابنى يوسف صديق الذى ولد أثناء وجود أبى بالسجن الحربى وزوجى الأستاذ «محمود توفيق» بسجن القناطر متمنياً لحفيده حياة أسعد وأجمل من الحياة التى جاءها عند مولده.

وفق الله الكاتب ليواصل دراسته عن الحق والعدل والديمقراطية.

بقلم: سهير يوسف صديق

□□□

لماذا كتبت عن يوسف صديق ؟

بدايةً.. لم أكن أتوقع أن أكتب في يوم من الأيام عن أى شخصية تاريخية أو سياسية وخصوصاً الشخصيات السياسية وذلك بسبب كونها غالبا ما يشوبها الغموض وتحيطها الأسرار وهو ما يتطلب من الكاتب أن يكون ملازما أو على الأقل قريبا من الشخصية ولكننى وجدت هذه الشخصية قريبة منى بل ملازمة لى روحياً. فربما هو قُرب روحى طبعه داخلنا ذات النيل الذى عشنا بجواره فى بلدة الواسطى. فها أنا أجده فى مذكرات محمد نجيب مظلوما مهضوم الحق على الرغم من دوره البطولى الذى أنكره المؤرخون، وها أنا أراه مرة أخرى فى مذكرات خالد محيى الدين وكأنه يشاور علىَّ ويناديني باسمى. وهاهى ذى المرة الثالثة -التى قررت فيها أن أكتب هذا الكتاب - حيث وقفت أمام اللوحة المعدنية المكتوب عليها «شارع البطل يوسف صديق» وأنا أحدق فيها وبدأ الاسم يهتز أمامى وكأنه يريد أن يخاطبنى ويحكى لى عن نفسه أكثر وأكثر ويطلب منى أن أكتب عنه وعن دوره فى تغيير تاريخ مصر الحديث وبدأت رحلة البحث والتنقيب..

وفى إيجاز سريع كانت الأسباب التى دفعتنى للكتابة عن البطل «يوسف صديق» ما يلى:

أولا: التهميش والإهمال التاريخي الذى تعرض له البطل «يوسف صديق» هو ورفاقه المخلصين من هذا الوطن بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. وهذا ليس بخفى على أحد وقد كان «يوسف صديق» هو أول سلسلة هذا التهميش ثم دارت الدائرة على البقية المخلصة وهذا ما نلحظه فى غيابهم من كل كتب التاريخ المدرسى وغيرها من الكتب الرسمية الخالية من أسمائهم، ويؤكد عليا خلو المتحف الحربى من تمثال ليوسف صديق مع أعضاء مجلس قيادة الثورة فى إنكار واضح وصريح لحقيقة تاريخية لا ينكرها إلا جاحد حتى قيام أولاده برفع دعوة قضائية أمام المحاكم وقد استجيبت دعوتهم وتم عمل تمثال للبطل بالمتحف الحربى.

أيضا يدلل على هذا التهميش قصة الكاتب «حلمى سلام» فى مجلة صباح الخير العدد ١٤٩٢ يوم ٩ أغسطس سنة ١٩٨٤ الذى التقط صورة جماعية لمجلس قيادة الثورة ليضعها فى مجلة المصور كهدية مع عدد فبراير ١٩٥٣ فإذا بـ «عبد الناصر» يتصل به ليلغى وضع الصورة وعندما سأله لماذا؟ أخبره عبد الناصر بأن هناك أناس سوف يختفون من المشهد ولا نريد أن يتعلق الناس بهم ثم بعد ذلك لا يجدونهم بيننا فيشعرون بالاختلاف والانقسام الحادث بيننا، وعندما سأله الصحفى عن أسماء هؤلاء الذين

وف يختفون من المشهد فكان من بين الأسماء «يوسف صديق» هذه القصة وقبلها الدعوى القضائية تؤكدان هذا السبب الرئيسى ذى دفعنى لكتابة هذه الكلمات لعلى أزيل بها بعض الغموض أقدم للقارئ مادة تاريخية موجزة ومبسطة عن حياة بطل سطر دمه جزءا من تاريخ مصر الحديثة..

ثانيا: الحس الأدبى العالى لدى «يوسف صديق» والظاهر فى شعره الذى جمع بعد وفاته فى ديوان «ضعوا الأقلام» وهذه حقيقة أدبية أخرى غائبة فى حياة «يوسف صديق» لم يعرفها الكثير وكونى محبًا للأدب بصفة عامة وللون الشعرى بصفة خاصة أردت أن أظهر هذا الجانب المضىء فى حياة البطل «يوسف صديق» الذى كتب قصائده بمداد من دمه على سطور الشجاعة والتضحية فى صفحات التاريخ المصرى.

ثالثا: أثناء قراءتى لثورة ٢٣يوليو وماتلاها من أحداث تيقنت حقا أن هذا التاريخ يعيد نفسه فليس الفارق بكبير من ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢ إلى ثورة ٢٥يناير ٢٠١١ فها هى ذى نفس الأزمات ونفس الإضرابات ونفس القضايا المثارة حول الدستور والأحزاب والحكومة وعلى الجانب الآخر ألمح «يوسف صديق» وهو يعيش بيننا ليقدم حلوله الديمقراطية والمدنية والتى ستظهر فيما بعد من

مطالبتـــه بتشكيـــل حكـــومة ائتلافيـــة من الوفد والإخوا، والشيوعيين ثم مطالبته بعدم حل الدستور والحفاظ على الشرعية بل ومطالبته بترك الجيش للحياة السياسية وعودته السريعة إلى ثكناته للحفاظ على مدنية الدولة وهذا ماسنلحظه فى الفصول الآتية من الكتاب وهذا السبب يعطينا الدرس والعبرة فى المراحل الآتية عقب ثورة ٢٥ يناير.

رابعا: إحساسى بالفخر والسعادة كونى أنتمى لنفس بلد هذا البطل. فمنذ أن كنت صغيرا وأنا أقرأ لافتات شوارع بلدتى فإذا بى أجد اسم أحد هذه الشوارع هو شارع «البطل يوسف صديق» حيث إن مدينتنا عبارة عن ثلاثة شوارع رئيسية طويلة ومتوازية يتفرع منها باقى شوارع المدينة وكانت كالتالى شارع سعد زغلول وشارع أحمد عرابى وكلاهما كان معروفا لدى ولكن الشارع الثالث والأخير والذى كان يحمل اسم «البطل يوسف صديق» هو الذى كان غامضا بالنسبة لى وليس لى أنا فقط بل للكثير من أهل بلدتى فكثيرا ما سألت وكانت الاجابة.. لا أعلم .. وأعتقد أنه قد جاء الوقت لأجيب عن سؤال الطفل الموجود داخلى والذى مازال يسأل من هو «يوسف صديق»؟

أحمد جمال

الواسطى ـ ٢٣ يوليو ٢٠١٢

البـــاب الأول
ما قبل الثورة

الفصل الأول

النشأة والتربية

□□□

الفصل الثاني

الحياه العسكرية

□□□

الفصل الثالث

وقفات فكرية

□□□

الفصل الرابع

ما قبل الثورة

الفصل الأول
النشأة والتربية

يوسف منصور يوسف صديق الأزهرى (٣ يناير١٩١٠- ٣١ مارس ١٩٧٥) ولد فى قرية زاوية المصلوب التابعة لمركز الواسطى محافظة بني سويف، والده وجده عملا ضابطين بالجيش المصرى. والده هو اليوزباشي منصور صديق شارك بحرب استرداد السودان وقضى خدمته بالسودان وتُوفى سنة ١٩١١م. وجده يوسف صديق الأزهرى كان من القضاة المعارضين فى عهد الخديو توفيق وعندما رفض اعطاء الملك فتوى أنه من أنساب النبى (صلى الله عليه وسلم) عينه الخديو على سبيل العقاب كحاكم لإقليم كردفان بالسودان أثناء الثورة المهدية حيث القتل والتشريد وبالفعل قتل خلالها وكل أسرته ولم ينجُ سوى ولديه محمود ومنصور، حيث هربهما الخادم معه كأنهما من أبنائه وساعده فى ذلك لون بشرتهما الأسمر وللأسف تُوفى محمود بالقاهرة بينما واصل منصور المسير حتى استقر بقريته زاوية المصلوب والأخير هو أبو البطل يوسف صديق جاء ليستقر فى قرية المصلوب،

ثم التحق بالجيش بعد ذلك ليكمل مسيرة والده وبالفعل تم نقله للخدمة بالسودان بعد تخرجه وازداد كرهه وعداؤه للإنجليز بعدما رآى من معاملتهم السيئة للضباط والجنود المصريين وبالتالي كان مصيره مصير أبيه وتم نقله من مكان سيئ إلى أسوأ، حتى أصيب بالكبد وكثرت عليه الأمراض وتوفى عام ١٩١١م في سن صغيرة لم تتجاوز الثامنة والعشرين بعدما أنجب طفله الوحيد «يوسف صديق» الذى تركه وعمره عام واحد فقط.

هذه هى عائلة يوسف صديق من أبيه «عائلة الأزهرى» وقد كانت هذه العائلة في ذلك الوقت تهتم بالعلم والثقافة أكثر من اهتمامها بالأرض والزراعة وجمع المال وكان الكثير من أفراد هذه الأسرة ينتمون للأزهر الشريف يدرسون به ويتخرجون ليعملوا في وظائفه ومجالاته المختلفة؛ ولذا يرجح أن هذا هو سبب تسميتهم بعائلة الأزهرى.

أما والدته فهى السيدة سكينة بنت الحاج أحمد على من عائلة «على» وكان أحد أثرياء بنى سويف حيث امتلك الكثير من الأراضى الزراعية كعادة عائلته في ذلك الوقت التى اهتمت بالزراعة وزيادة ممتلكاتها الزراعية وجمع الأموال لتكوين الثروات..

وهكذا تربى يوسف صديق بين عائلتين يستحوذان على العلم والمال! وما أدراك إذا اجتمع العلم والمال! فعلى الأقل تتولد منهما شخصية كريمة مثقفة متفتحة قوية شجاعة لا تهاب أحدًا وتتبع الحق أينما كان وهذا كان حال البطل «يوسف صديق»..

أيضاً حباه الله بجسد قوى وملامح صلبة لتحمل طبيعة الحياة التى عاشها، ومن اللطائف التى تحكيها زوجته «علية توفيق» أنه من قوة بأسه حتى أثناء طفولته كان يهزم كل أصدقائه وأولاد عمه فى مسابقة الجرى التى يقيمها الأطفال وأنه فى إحدى المرات تحداهم أن يسبقهم جميعا وهو يحمل على كتفه الطفلة «علية توفيق» ويشاء الله أن يتكرر الموقف مرة أخرى فى الكبر ليحملها كزوجة بقية حياته..

أتم «يوسف صديق» دراسته الأولية بمدرسة الواسطى الابتدائية سنة ١٩٢٤م ثم ذهب إلى القاهرة ليلتحق بالمدرسة الخديوية الثانوية وهناك تأثر وهو فى سن صغيرة بخطب سعد زغلول وثوريته. بل إنه ذهب فى إحدى الليالى إلى بيت الأمة ليستمع لسعد زغلول مباشرة ليرضى ثوريته العارمة ولكن هذا طبعا أغضب ولى أمره الذى كان يعيش معه وهو من أحد أقاربه القاطنين بالقاهرة. ولكنه عاد إلى بنى سويف مرة أخرى ليكمل دراسته

الثانوية بها تاركا صخب القاهرة وقيــود ولـى أمره التى فرضهــا الخوف عليه. وبعد عودته للقرية كان الإشراف لجده ولوالدته ثم خاله (الشاعر محمد توفيق) – صاحب ديوان «التوفيق» الذى طبعته الهيئة العامة للكتاب بعد وفاته بحوالى ستين عاما – وهو الذى أثرى حياة يوسف بالأدب والفكر والثقافة فقد كان ضابطاً شاعراً يمتلك فيلا ساحرة على ضفاف النيل تلهمه فنون الشعر والأدب وقد انتقلت هذه الثقافة سريعا إلى الشاب الواعى المثقف «يوسف صديق» من خلال هذا الخال وفى بيت هذا الخال أيضا التقى بابنة خاله وزوجته فيما بعد السيدة «علية توفيق».

ثم التحق يوسف بالكلية الحربية على الرغم من رفض أسرته لهذا فقد ذاقت من ويلات العسكرية ما ذاقت لذا كانوا يأملون أن يحافظوا على نجلهم من مهالك الإنجليز لكنه أصرّ ولم يستطع أحد أن يثنيه عن تكملة مشوار أبيه وجده وتخرج فيها عام ١٩٣٣م ومن المواقف الشجاعة التى تذكر له فى السنة الأولى الدراسية أنه رفض دفع المصاريف لأن والده كان ضابطاً بهذا الجيش عاش له ومات بسببه وعندما حققوا معه لرفضه دفع المصاريف قال له أحدهم إن أمك الحاجة سكينة ثرية وقادرة على دفع المصاريف بسهولة، لكنه رد بجواب أسكت الجميع، حيث قال لهم:

«إن أبى اليوزباشى «منصور صديق» هو من خدم بالجيش المصرى ومات فيه ولم تكن أمى «سكينة أحمد على» هى التى فعلت ذلك».

هنا سكت الجميع وأقروا بأن لكل طالب كان أبوه ملتحقاً بالجيش المصرى حق عدم دفع المصروفات وفاءً له..



الفصل الثاني
الحياه العسكرية

شارك يوسف صديق فى حرب فلسطين ١٩٤٨م وقاد كتيبته بجرأة نادرة واستطاع أن يحتل نقطة مراقبة على خط الدفاع بين المجدل وأشدود. وكان الضباط يطلقون على المنطقة التى دخلها «زلومة يوسف صديق» وكان يخطط لهجوم عنيف بكتيبته على المستعمرات اليهودية لولا قرار الانسحاب. وقد ابتكر بأشدود نظام دفاع جديدة سماه «جزر المقاومة» أثبت نجاحه وبدأ الجيش فى إرسال الجنود ليدربهم يوسف صديق على هذا الدفاع الجديد الجيد وعلى الرغم من إشادتهم ببراعة يوسف صديق وشجاعته فإنه فوجئ أنهم تخطوه فى الترقية ولم يعيروه أى اهتمام عسكرى. فأرسل قصيدة إلى وزير الحربية متظلما يقول فيها:

قل للوزير وقد تبين حقنا ... وولاؤنا ما بالنا ينسانا
إنا لنطلب حقنا لا نبتغى ... من فضله جوداً ولا إحساناً

أيضا أثناء تعسكره بأشدود حيث المناظر الطبيعية الخلابة والبساتين الرائعة طغت الطبيعة الشاعرية على الحياة العسكرية

فتغنى بكلمات موزونة على بحر الجمال مختومة بقوافى دوى القنابل المستمر منها هذه الأبيات التى قال فيها:

يا جنة فى رُبى «أشدود» وارفة   تموج بالسحر أشكالاً وألوانا
أعدها المبدع البارى وزينها   للصابرين على الأيام رضوانا

خلافاته داخل الجيش

كان ليوسف صديق مناوشات وخلافات كثيرة فى الجيش المصرى فى العهد الملكى خصوصاً مع باشاوات الجيش الذين عثوا فسادا وهذا عرضه للتأخر فى الترقية واضطهاد ممن هم أعلى منه فى الرتبة العسكرية وهذا يظهر فى أحد مواقفه مع أحد لواءات الجيش الذى سب كتيبته أثناء تدريب يؤدونه فى الصحراء وانتظر يوسف صديق حتى انتهى ضرب النار ليثبت نجاحه للجميع ثم ذهب للواء وأخبره اعتراضه وطلب منه الاعتذار وفوجئ بباقى ضباط الكتيبة على باب مكتب اللواء يعتصمون وينددون بما حدث وعندما لم يستطع اللواء صرفهم استغاث بيوسف صديق ليصرفهم ويعدهم بالاحترام ولكن كان الاضطهاد والتهميش هو رد الجميل ورفعت فيه مذكرة تدينه بذلك لكن ظهر الحق فى التحقيقات وأنصفه القانون وأخذ حقه

وقدم التظلمات ليحصل على ترقياته كاملة مثله مثل أقرانه. وقد سجل الشاعر الرقيق الظلم الذى تعرض له فى بعض الأبيات الشعرية كهذه عندما تخطوه فى الترقية وهو فى حرب فلسطين:

أمنت ظهرى بالحبيب من العدا   فأصابنى فيه الحبيب تعمدا
ورميت بالسهمين سهم شاهد   فى الصدر أنى ما تهيبت الردى
شهدت لىَ الأعداء عدلاً يا ترى   سهم الأحبة ما عسى أن يشهدا

الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة

أيضا مما تحكيه زوجته علية توفيق: أثناء خدمته بالجيش المصرى قصة تثبت دوره الفعال داخل الجيش فتقول: نقل يوسف صديق مع الأورطة إلى الدخيلة بالإسكندرية ثم نقل معها إلى مرسى مطروح وهناك كلف يوسف بعمل عسكرى مهم جداً برغم حداثة خبرته ومدته ورتبته العسكرية، فقد كلف بتحويل هذه الأورطة المشاة إلى مدافع ماكينة وفعلا قام يوسف صديق بهذا العمل العسكرى المهم خلال ثلاثين يوما حتى أن القائد الإنجليزى الذى كان يتابع عملية التحويل عبّر عن إعجابه بهذا المستوى من الأداء بقوله «إن من يرى هذه الكتيبة لا يصدق أنها منذ شهر واحد فقط كانت كتيبة مشاة» وأطلق على هذه الأورطة بعد

تحويلها إلى مدافع ماكينة «الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة» لأنها كانت أول كتيبة مدافع ماكينة مشاة بالجيش. ومما يجدر ذكره أن هذه الكتيبة هي نفس الكتيبة التى قاد يوسف صديق مقدمتها ليلة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م واحتل بها رئاسة الجيش فى كوبرى القبة وقبض على رئيس أركان حرب الجيش ومن كان مجتمعاً بهم لإجهاض الثورة وأنقذ الثورة من فشل محقق كما أنقذ الضباط الأحرار من الإعدام رمياً بالرصاص.

ومما يجدر ذكره أيضاً أن يوسف صديق خلال هذه التدريبات وتحويله للأورطة إلى كتيبة مدافع ماكينة مشاة أصيب بشرخ فى العمود الفقرى ظل طوال عمره يعانى منه وألبس بسببه جاكت من الجبس كان يسميه السجن المفصل، وعلى الرغم من ذلك أكمل مهامه العسكرية على أكمل وجه دون تقصير أو تكاسل، بل اجتهد وتفانى فى العمل العسكرى ليشهد له القاصى والدانى والعربى والأجنبى.

مدرسا للتاريخ العسكرى

أيضاً عمل يوسف صديق كمدرس للتاريخ العسكرى بالكلية الحربية من عام ١٩٣٩م إلى عام ١٩٤١م حول فيها مادة التاريخ

العسكرى بأسلوبه الشيق المثير فى السرد من مادة مملة ثقيلة على الطلبة إلى مادة شيقة ينتظرها كل الطلبة بشغف وحب للاستزادة والمعرفة وكان من تلاميذه بعض قادة الثورة كخالد محيى الدين وحسن الدسوقى..

التحق بعد ذلك يوسف صديق بكلية الأركان حرب سنة ١٩٤٢م وهى السنة التى اشتدت فيها آلام العمود الفقرى عليه وألبس فيها الجاكت الجبس أو السجن التفصيل..

وهنا يسرنى أن ألقى الضوء على هذه الجملة التى قالها يوسف صديق فى بحثه الذى سيأخذ عليه التقدير فى نهاية الدراسة. وهذه الجملة هى «وما زال الجيش المصرى ينتظر القائد المصرى النقى» ولقى جزاء كلمة الحق عدم حصوله على الدرجات التى يستحقها وعدم تعيينه فى أى منصب حساس بعد حصوله على شهادة الأركان حرب.

من المواقف الثورية له قبل الثورة مؤازرته هو ورفاقه الشجعان للأميرالاى عبد الواحد سبل الذى رفض التواطؤ مع الفاسدين ورفض الرشوة ووقف فى وجه الظلم والفساد المنتشر فى الجيش

وقتها وكان مصيره الحرمان من الترقية بل وطرده من الجيش وهنا ظهر الأبطال وأقاموا له حفل تكريم بنادى الجيش ودعوا له الكثير من الضباط ومثل الحفل احتجاجا شديدا على قرار طرده من الجيش بل اعتبره البعض أولى بذور الثورة وهنا ظهرت شاعرية البطل الحماسى الذى أطرب أذن السامعين وهيج عاطفتهم بقصيدة «يا صاحب القلب الكبير» مدعما موقف رئيسه ومعزياً له ومنها هذه الأبيات الرائعة:

هون عليك أخى فإن جهادنا ... فى الله لا نرجوا الحياة متاعا
إنا وهبنا للجهاد نفوسنا ... لا نبتغى رتباً ولا أطماعا
والمؤمنون المخلصون يزيدهم ... ظلم الحوادث شدة وصراعا
يا صاحب القلب الكبير تحية ... فلقد بدأت ولا أقول وداعا
حُررت من قيد الوظيفة فانطلق ... حراً وأطلق للكفاح شراعا
عار الوظيفة أن نضام بها إذا ... كنا الرجال ولم نكن أتباعا
ونفوس أهل الحق تأبى حرةً ... وكريمةً أن تشترى وتباعا

وكالعادة كانت هذه القصيدة هى وسيلة المواصلات التى نقلته سريعاً كعقاب إلى الإسماعيلية حيث كان وباء الكوليرا منتشرا.

هكذا يتضح لنا مما سبق ذكره ثورية يوسف صديق منذ

صغره واستعداده النفسى للثورة على أى شىء خاطئ والتبكير بكل شجاعة وبسالة فى الوقوف بجانب الحق أياً كان وهذا ما سنلحظه فى الأحداث القادمة..

❑❑❑

الفصل الثالث
وقفات فكرية

يوسف صديق وحزب الوفد

بعد أن انتقل يوسف صديق إلى القاهرة كان من الطبيعى أن يتلاقى مع التيارات السياسية المختلفة وبالطبع كانت بغيته أول ما اتجه إلى حلم طفولته إلى البيت الذى ذهب إليه كثيرا متظاهرا ثائرا يناصر الحق ويدفع الظلم إلى بيت الأمة حيث الزعيم والقائد سعد زغلول الذى كثيرا ما تمنى رؤيته واتباعه فى مسيراته وأفكاره الثورية المناهضة للاستعمار لكنه لم يجد هذا بعينه فما لبث أن ترك حزب الوفد سريعا فقد وجد من وجهة نظره أن حزب الوفد بوجود سعد زغلول يختلف كثيرا عن حزب الوفد الحالى بدون سعد زغلول لذا لم يكمل المسيرة مع حزب الوفد وغير دفته سريعا ليتجه إلى تيار آخر قد يتلاقى معه فكريا ويلبى طموحه الثورى العارم ونتيجة لتربيته المحافظة وتدينه الريفى الأصيل، فقد اتجه صوب تيار الإسلام السياسى واختار أن يجرب التيار الوسطى حيث «الإخوان المسلمون»..

يوسف صديق والإخوان المسلمون

وكما يحكى يوسف صديق فقد مر على الإخوان مرورا سريعا عن طريق الضابط «لبيب» المسئول عن ضباط الإخوان المسلمين ولم يمكث بها كثيرا ولم يلتق فكريا معهم فهو لم يختلف كثيراً عن أهداف الإسلام السامية لكنه اختلف فى طريقة التطبيق فهو مثلا عندما اختلف معهم – من وجهة نظره – لم يكن على أهلية القرآن ليكون دستورا للأمة أم لا. بل هو أراد تحويل هذا المبدأ إلى دستور مكتوب فعليا ومحدد على الطريقة الحديثة حيث إنه كان مقتنعا بأن الإسلام عموما والقرآن خاصة صالح لكل زمان ومكان وعلى الرغم من عدم التقائه الفكرى مع الإخوان فإنه ظل يكن لهم كل معانى الحب والود والاحترام وهذا ظاهر فى عدة مواقف :

أولهـــا : علاقتـــه مع أحد المؤسسين لحركة الضباط الأحرار والمنتمى للإخوان المسلمين وهو عبدالمنعم عبدالرءوف وقد ذكره البطل يوسف صديق فى مذكراته بكل الخير بل مدح فيه وفى كرم أخلاقه وحسن شخصيته ومما ذكره معه. موقف عبد المنعم عبدالرءوف فى بيت يوسف صديق بمجرد دخوله البيت يحضر له سجادة الصلاة ويظل عبدالمنعم منتصباً للصلاة تاركا المناقشات

حتى انتهاء الاجتماع ولمّا سأله عن ذلك قال إنه «أى عبدالمنعم عبدالرؤف» بدأ يشعر أن جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بدءا يتحركا بشكل فردى وهذا ما وافقه عليه يوسف صديق ولكن طلب منه استكمال مسيرة العطاء دون النظر الى الأشخاص وإعلاء مصلحة الوطن وهذه هى شيم هذين الفارسين ولكن كما قال المؤرخون فهذه الثورة قام بها أناس واستفاد منها آخرون!

وثانيها: فى علاقة يوسف صديق بالإخوان هو اقتراحاته المستمره فى الصحف والجرائد وخطابه للرئيس الراحل محمد نجيب فى أزمة مارس ١٩٥٤م والذى اقترح فيه رجوع البرلمان المنحل وتوليه الشرعية والمسئولية أو تشكيل حكومة ائتلافية تضم كل أطياف المجتمع وكان ممن اقترح مشاركتهم فى هذه الحكومة جماعة الإخوان المسلمين مع الشيوعيين والوفد وهنا تتجلى عقلية هذا البطل الفكرية الناضجة المتفتحة التى تقبل الجميع دون إقصاء وتتعاون فيما تتفق عليه وتعذر الآخرين فيما اختلفت فيه معهم وما أحوجنا إلى هذا الفكر اليوم.

وثالثها: هو مشاركة الإخوان المسلمين معه فى لجنة الكفاح المسلح ضد الانجليز وإن كانت لفترة قصيرة تحكيها لنا زوجته «علية توفيق» وتقول:

«فى حوالى شهر سبتمبر ١٩٥٢م كان يوسف مدعوا للغداء بمنزل الصاغ صلاح عبد الحفيظ وهو بلدياتنا من بنى‌سويف وكان موجودا الصاغ حسن الدسوقى وتصادف وجود السيد عبدالحفيظ الصيفى الذى كان عضوا بارزا بالإخوان المسلمين ودار الحديث حول الكفاح المسلح فأبدى عبد الحفيظ الصيفى تأييده للفكرة واقتناعه بها ووعده بعرضها على المرشد العام للجماعة. وبعد ذلك بأيام تم لقاء بين يوسف ونفس المجموعة والمرشد العام للإخوان حيث أبدى المرشد العام موافقته على التعاون مع كافة الأحزاب السياسية بمن فيهم الشيوعيون للكفاح المسلح ضد الإنجليز وأبلغ عبدالحفيظ الصيفى الصاغ صلاح عبد الحفيظ بأن المرشد العام قد فوض كلًا من حسن عشماوى وصالح أبو رقيق وصلاح شادى ومنيرالدلة وعبد الحفيظ الصيفى فى التنسيق مع مجموعة يوسف صديق والأحزاب السياسية الأخرى حول فكرة الكفاح المسلح ضد الإنجليز وتم لقاء بينهم وبين يوسف صديق وفى تلك الجلسة أبلغوا يوسف بأن جمال عبدالناصر اتصل بهم وأبلغهم بأنه يرحب بالتعاون معهم فى مجلس القيادة لكن هناك معارضة من يوسف صديق وخالد محيى الدين وقد نفى يوسف صديق فى تلك الجلسة ما ادعاه عبد الناصر.

وفى اليوم التالى توجه عشماوى وصلاح شادى إلى جمال عبد الناصر وأبلغاه بما دار بينهم وبين يوسف صديق خاصة تكذيب يوسف لما ادعاه عبد الناصر ضده وضد خالد محيى الدين.

وفى شهر يناير ١٩٥٣ كان طلاب الجامعة يحتفلون بذكرى شهداء الكفاح المسلح بالقناة وكانت قد تكونت لجنة من الطلبة تضم الشيوعيين والإخوان والوفديين وأعلن فى هذا الاحتفال تكوين جبهة من القوى الثلاث.

لكن عناصر تنتمى للسلطة حاولت فض المؤتمر بالقوة فتصدى لهم الطلبة وأرغموهم على الفرار. وفى مساء نفس اليوم حضر عبد الحكيم عامر إلى منزلنا بسكنات الجيش ونسب إلى يوسف صديق تدبيره أحداث الجامعة، فأنكر يوسف ذلك واتهمهم باستفزاز الطلبة والاعتداء عليهم.

وفى اليوم التالى لإيداع مجموعة من ضباط سلاح المدفعية فى سجن الأجانب ومعهم بعض ضباط يوسف صديق اجتمع مجلس القيادة فهاجم يوسف صديق إجراء القبض على الضباط وأكد تأييده لما ينادون به ووصف مجلس القيادة بعدم الشرعية فهو مجلس غير منتخب لا من الشعب ولا من الجيش وقدم استقالته من المجلس مما نتج عنه توقف أعمال لجنة الكفاح المسلح ضد الإنجليز.

والملمــح الأخيــر فى علاقــة يوسف صديق مع الإخوان هو تعاطفه معهم فى المعتقل فقد كان هو أحد المسموح لهم بسماع الأخبار فكان يقوم بعمل نشرة دورية ينسخها على يده عدة مرات ثم يوزعها على العنابر ليربطهم بأخبار العالم الخارجى. وفى هذه الفترة تحكى ابنته «سهير» أنه بمجرد دخوله المعتقل وجد الأميرالاى أحمد شوقى وعددًا كبيرًا من ضباط الإخوان المسلمين ومنهم عبدالمنعم عبدالرءوف ومعروف الحضرى وأبو المكارم عبدالحى وغيرهم وقد ظل والدى سنة وشهرًا فى السجن الحربى وفى هذه الفترة عاصر التعذيب الشديد الذى وقع على قيادات الإخوان المسلمين وأعضاء جماعتهم وكنت أزوره كل أسبوع فيقص علينا ما يحدث من أبشع أنواع التنكيل ما فاق كل تصور وما لا يتصوره عقل وفى إحدى هذه الزيارات لوالدى بالسجن الحربى بعد أن اعترف أعضاء الجهاز السرى بأسماء زملائهم وبالتنظيم كاملا وتم القبض على جميع الأعضاء وكان الناس يلومون القيادة لهذا الاعتراف قال أبى إنه رأى بنفسه العذاب الشديد الذى وقع على هؤلاء القادة من الجلد الذى كان يتطاير فيه لحمهم إلى إطلاق الكلاب التى تنهشهم إلى سحلهم بالخيل ولم ينطقوا بحرف واحد ولم يعترفوا إلى أن جاءوا بزوجة

هنداوى دوير وكان شابا صغيرا وكانت زوجته فى بلدتها لتضع مولودها فأتوا بها إلى السجن الحربى وخلعوا ملابسها أمامه ووضعوها على العروسة إحدى ألات التعذيب وقالو له إنهم سيفعلون معها ما فعلوه به. فطلب منهم أن يرجعوها إلى بلدتها وقام بالاعتراف الكامل لهم على النحو المعروف بعد ذلك وفى آخر كل زيارة لأبى فى السجن كان يعطينا كيسا كبيرا به عدد كبير من الخطابات التى كتبها المعتقلون لذويهم لكى أرسلها عن طريق البريد لكى يعرفوا مكانهم.

أيضا يحكى الأستاذ محمد توفيق الأزهرى فى كتابه «يوسف صديق منقذ ثورة يوليو» عن الفترة التى قضاها يوسف صديق فى معتقله وما عاصره من حوادث تعذيب الإخوان المسلمين فى المعتقل حيث يقول: ما هو نصه: والحادثة التى لا أنساها كانت عند تعذيب يوسف طلعت فقد كان الرجل يضرب بالسياط حتى يفقد الوعى وقد شاهدت بنفسى لحم الرجل يتطاير من شدة الضرب وقد جلس وكيل النيابة فى المكتب بالقرب من مكان التعذيب للتحقيق مع الرجل.. كانت الرحمة قد نزعت من القلوب وتحول الزبانية إلى وحوش آدمية لا يعرفون الله وقد تعرض لمثل هذا التعذيب عبد القادر عودة وفتحى البوز الذى

سمعته بنفسى يقول للجلاد عندما اشتد عليه الضرب: علشان خاطر ربنا فيرد عليه الجلاد: «خلى ربنا ينزل يخلصك» وهنا أردت الوقوف على هذا الجانب المظلم من التعذيب والتنكيل لأبين مدى الظلم والجور الذى وقع على كل الحركات المعارضة للديكتاتورية من مجلس قيادة الثورة بعد رحيل يوسف صديق وخالد محيى الدين عنه.

ولأبين أن هذا الذى حدث داخل سجون ومعتقلات الديكتاتورية هو أحد أسباب - إن لم يكن السبب الرئيسى - صنع الإرهاب والتطرف الفكرى وظهور المكفرين والفرق والجماعات التى ظهرت حينذاك والتى أضرت بعنفها الإسلام والمسلمين..

يوسف صديق والشيوعية

ما فهمته من مذكرات يوسف صديق وخطاب الأستاذ محمود توفيق فى كتاب «أوراق يوسف صديق» أنه قد التحق بالشيوعية فكرا فقط ولم يلتحق بها تنظيما على الرغم من مناداة بعض أصدقائه له على سبيل الدعابة بـ (يوسف ستالين) ومن هذه الحركات التى كان له صلة بها الحركة الشيوعية «حدتو»، وذلك عن طريق أحد أصدقائه وهو إبراهيم عبد الحليم زميل العمل

وأخو الشاب الثائر كمال عبدالحليم الذى اختبأ لفترة محدودة فى بيت يوسف صديق بعيدا عن أنظار البوليس السياسى على الرغم من رصد مكافأة مالية لمن يبلغ عن مكانه لكن كان مآواه الوحيد هو بيت صديق أخيه وهكذا زادت معرفة يوسف صديق ببعض قيادات «حدتو» التى كثيرا ما ساعدت الضباط الأحرار وطبعت المنشورات لهم ووقفت معهم حتى قيام الثورة لكنها هى الأخرى لم تسلم من أذى الديكتاتورية وعلى الرغم من اقترابه من الشيوعية فإنه كان له مأخذان مهمان عليها:

أولهما: بُعد الشيوعية عن الأديان وعدم احترامها للأديان وإظهار صورة الإلحاد هى الصورة المثلى بل والتطاول فى بعض الاحيان (كما ذكر يوسف صديق) على المصلين والسخرية من المؤدين لعبادتهم والإفطار جهراً فى رمضان والتفاخر بالإلحاد..

وهنا لا يفوتنا أن نذكر إعجاب يوسف صديق بالاشتراكية واعتبارها حلًا جذريًا لكثير من المشاكل وإعجابه بمبادئ ماركس الاشتراكية ومساهمته فى تطوير المجتمعات مع تحفظه الشديد على فكرة الإلحاد وقد قال «إنه إذا جنبنا قضية الإلحاد فنستطيع أن نقول بأن كل ماتحويه الاشتراكية يطابق الإسلام».

أما المأخذ الثانى فهو الانقسام الشديد والتفرق داخل الحركات الشيوعية بل داخل الحركة الواحدة وهو ما رآه يوسف صديق مرضًا خطيرًا فى كيان الفكر الواحد وعلى الرغم من ذلك فقد ذكر يوسف صديق فى أحد الحوارات الصحفية أنه ليس شيوعيا. ومما قاله لهم عند قراءة أحد منشوراتهم - كما جاء فى كتاب علية توفيق «يوسف صديق وجمال عبد الناصر وأنا»: «ستظلون تشتمون وتهاجمون بعضكم إلى أن يحضر البوليس السياسى ويقبض عليكم جميعا دون أن تكونوا قد حققتم أى نتائج عملية تساعد البلد على الخلاص مما هو فيه» وهنا قد فقد يوسف صديق الثقة فى التنظيم الشيوعى. ولإيمانه بأنه قادر على فعل شىء محقق للأمة يستطيع أن ينقذها مما هى فيه، فقد غير وجهته تاركاً شط الشيوعية وموانيها ليرسو بسفينته الفكرية على آخر المراسى له ألا وهو تنظيم الضباط الأحرار وقبل أن أنتقل إلى تاريخ يوسف صديق مع الضباط الأحرار أود أن أختم هذه الفقرة الخاصة بميول البطل يوسف صديق الفكرية وانتماءاته السياسية بسؤال صحفى جريدة المصرى الذى أجرى حواراً مع يوسف صديق وسأله متعجبا هل أنت من الإخوان؟ أم شيوعى؟ أم وفدى؟ أم اشتراكى؟ أم أنت هؤلاء جميعا؟! وإجابتى الشخصية هى أنه فعلاً هؤلاء جميعا..

يوسف صديق والضباط الأحرار

بعد فقد الثقة في الحركات الشيوعية ظل أمل يوسف صديق في الجيش وحده فهو الجهة التى تملك العدة والسلاح الذى يمكنه من تغيير الأوضاع إن أراد ذلك. وهذا الرأى ظهر جلياً في قصائده المحرضة على حمل السلاح والعمل وترك المعارضة الكلامية فقط.

ولم يكن يوسف صديق من مؤسسى حركة الضباط الأحرار ولكنه التحق بها عن طريق صديقه الضابط وحيد رمضان أحد الضباط الأحرار وكان ذلك سنة ١٩٥١ أثناء خدمته في العريش بالكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة وأخذ يقرأ منشوراتها ويتعرف إليه أهدافها ومبادئها على غير الكثير من أعضائها الذين لم يقرأوا عنها شيئا كما ذكر حمروش في كتابه عن قصة ثورة يوليو ويقول «قال لى صلاح سالم إنه لم يقرأ منشور الأهداف الستة ولم يناقش هذا الموضوع أو يتعرف إليه إلا بعد نجاح الثورة» المهم تعرف البطل يوسف صديق إليه الضابط وحيد رمضان والذى رشحه للالتحاق بالضباط الأحرار ومن هنا جاءت سعادة يوسف صديق فها هوذا يجد الطريق ويجد السبيل للحلم الذى راوده منذ

سنين فكم فكر فى أن يأخذ كتيبته بمفردها ويغامر بها لكى ينهى هذا العهد الملكى الديكتاتورى وكم حلم بالانضمام لحركة تساعده على تنفيذ هذا الحلم وها هو البطل قد ساعد حركة الضباط الأحرار قبل أن تساعده ولكن كان ذا جزاؤه جزاء سنمار ولم يكذب «نجيب» عندما ذكرها فى مذكراته بأنها حركة الضباط الأشرار وليسوا الأحرار.

ولكن على الرغم من ذلك أدى يوسف صديق دوره وواجباته على أكمل وجه ولم يقصر أبداً ولم يعتن بالأفعال السخيفة ممن هم أحدث منه فى الرتبة العسكرية كعبدالناصر أو أقل منه كعبدالحكيم عامر وإنما كان هدفه واضحًا وطريقه صريحًا عكس معظم ضباط مجلس قيادة الثورة وهذا ما يدلل عليه أن استقالته كانت أول استقالة من المجلس وحين انتشر فساد الضباط وعم لدرجة أن شقيق صلاح سالم وجمال سالم طبع كارت مكتوب عليه شقيق صلاح وجمال سالم ليستخدمه فى المصالح الحكومية لم نجد يوسف يسعى حتى لتعيين أحد أقاربه فى أى منصب ولم تشبهه أى فضيحه جنسية أو مالية كما ظهر بعد ذلك مع معظم ضباط مجلس قيادة الثورة وإنما عاش حراً ومات شريفا.

وبدأ كفاح يوسف صديق مع الضباط الأحرار من أول لحظة

التحق بهم فقد تحول بيته إلى مقر سرى لاجتماعاتهم وشاركته زوجته المناضلة السيدة «علية توفيق» فى الحياة السياسية فها هى ذى تنصحهم بترك عرباتهم العسكرية المعروفة بعيداً عن المنزل بجوار محطة السكة الحديد حتى يظنها من يراها أنها عربات فى انتظار القادمين أو الراحلين فى قطار المحطة والترجل حتى المنزل لعدم لفت الانتباه بسبب كثرة العربات أمام المنزل وها هى ذى تشارك فى طباعة المنشورات وتوزيعها على المحال فى الشوارع وإيداعها صناديق بريد العمارات ومن المواقف الصعبة التى عاشتها علية توفيق مع زوجها والتى تحكيها فى كتابها أنه فى إحدى الليالى وكان موعد لقاء الضباط الأحرار السرى فى بيت يوسف صديق قد اقترب ولم يبق إلا دقائق معدودة فإذا بالقائمقام «رشاد مهنا» يدق جرس الباب ويدخل لزيارة يوسف صديق فى بيته - وكان قد نقل حديثا إلى منطقة العريش - وسرعان ما سلم عليه يوسف صديق وأخذه بعيداً عن مدخل الفيلا فى حين قابلت علية توفيق الضباط الأحرار القادمين بعده مباشرة وأبلغتهم فى هدوء تام بالتزام الصمت وخبأتهم فى غرف الفيلا العديدة حتى انتهاء زيارة القائمقام رشاد مهنا وخروجه من المنزل وهنا تنفست علية توفيق الصعداء وعندما نظر يوسف صديق فى البيت ولم

يجد أى ضابط ظن أنهم تأخروا أو ربما لم يأتوا ولكنها سرع
ما شرحت له ما جرى ووجد الضباط يخرجون عليه من حجرا
الفيلا كالجراد المنتشر فتنفس هو الآخر الصعداء وشكر الله عل
هذه الزوجة الذكية الثائرة المخلصة للوطن وهكذا شاركت المناض
والزوجة زوجها الكفاح وكان جزاؤها أيضا جزاء باقى الشرفاء
فتحكى ابنته من السيدة توحيدة صبرى أنه بعد اعتقال أبيها ج
رجال البوليس - وكان وزير الداخلية وقتها زكريا محيى الدي
- ليقبضوا على أمها التى ليس لها شأن بالسياسة أصلا وخر
المخبر بعد تفتيش البيت ومعه حقيبة بها منشورات مازال ورقه
ساخنًا أى أن الضابط أحضرها من المطبعة إلى البيت مباشر
لسرعة تلفيق القضية ولكن بعد ساعات معدودة خرجت الأم مر
مركز الشرطة حيث علمت أنها لم تكن المقصودة بالقضية وإنم
المقصودة هى زوجة يوسف صديق الأخرى «علية توفيق» وسرعا
ما توجه رجال البوليس بنفس الحقيبة إلى بيت السيدة «علية
توفيق» للقبض عليها.

وبعد التحاق يوسف صديق بحركة الضباط الأحرار التقى بجمال عبد الناصر عدة مرات تبادلا فيها الآراء ووجهات النظر حتى التقيا يوم ساعة الصفر...

جاءت التعليمات بنقل الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة من العريش إلى القاهرة وكان قرار النقل يقضى بأن تنتقل مقدمة الكتيبة أولا بقائدها الثانى وهو يوسف صديق لتقوم بإعداد المكان وتهيئته قبل نزول باقى الكتيبة. فرح يوسف صديق بهذا القرار جدا فهو هكذا يمكنه من حضور الثورة بالقاهرة وبالفعل فى صباح يوم ١٣ يوليو جاء القطار الذى سيحمل مقدمة الكتيبة بقائدها يوسف صديق إلى القاهرة ولكن حدث شىء غريب على غير المتوقع فقد جاءت البوستة إلى الكتيبة بإلغاء قرار النقل وعندما علم يوسف صديق بذلك حزن حزناً شديداً لكنه سرعان ما استخدم ذكاءه وأبلغ الضابط الذى استلم البوستة بألا يريها لقائد الكتيبة ولا يبلغه بها إلا بعد تحرك القطار بمقدمة الكتيبة وبذلك يضمن السفر إلى القاهرة.

وبالفعل نجحت الحيلة الذكية من البطل يوسف صديق ووصلت مقدمة الكتيبة إلى القاهرة لتعسكر فى منطقة الهايكستب بأطراف مصر الجديدة.

❑❑❑

الفصل الرابع
ما قبل الثورة

زاد الفساد واستشرى فى البلاد حتى وصل إلى حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢م وأعلنت الأحكام العرفية فزاد الاحتقان وزاد كره الناس للملك وأعوانه وتم تعطيل الدستور ومنع الصحف من النشر عن الانتخابات وتم مصادرة العديد من الصحف واعتقال القيادات السياسية.أيضا قام البوليس بمحاصرة البرلمان بعد قرار حل مجلس النواب حتى لا يدخله النواب عنوة وهكذا بلغ كره الملك فى الشارع إلى ذروته وتأهب الشعب للقبول بأى انقلاب على الملك يخلصه منه.

على الجانب الآخر فى الجيش تم اغتيال الضابط عبد القادر طه على يد رجال الملك عقب توزيعه لمنشورات تهاجم الملك وتتهمه بالخيانة ثم تم اعتقال الضابط الوفدى حسن علام أثناء طباعته للمنشورات فزاد التوتر داخل الجيش وفى اجتماع الجمعية العمومية لنادى الضباط وقفوا حدادًا على روح الشهيد عبد القادر طه ثم أعلنوا رفضهم لتمثيل سلاح الحدود فى النادى

على غير رغبة الملك، فكان الملك أكثر منهم صداماً وتحدياً فحل لنادى وألغى الانتخابات وهدد محمد نجيب رئيس النادى لمنتخب - أيضا على غير رغبة الملك - بالطرد من الجيش والاعتقال فزادت اجتماعات الضباط الأحرار وزاد احتقانهم على الملك وأعوانه وقرروا أخذ خطوات عملية فقرروا الإعداد لانقلاب عسكرى وقاموا بحصر رجالهم وقواتهم فاستشعروا قوتهم وقرروا ميعادا للإنقلاب فى يوم ٣/٢ من أغسطس ١٩٥٢م ويحكى خالد محيى الدين فى مذكراته الآن أتكلم عن هذا الاجتماع الذى حددوا فيه موعد يوم الانقلاب ويقول: «وفى الاجتماع أحضر جمال عبد الناصر يوسف صديق معه». كان يوسف يريد أن يطمئن على وجود قوات كافية وكان لدى ضباط المشاة شكوك فى أن ضباط الفرسان المهتمين بمظهرهم يمكن أن يتحركوا فى عمل ثورى كهذا. وكان يوسف صديق شخصا محترما وقد عمل مدرسا فى الكلية الحربية لمدة طويلة وتتلمذ على يديه العديد من الضباط ولم أكن أعرف حتى ذلك الحين أنه شيوعى وأنه عضو فى (حدتو) - أوضحنا قبل ذلك أن يوسف صديق لم يكن عضوا بحدتو - وأعتقد أن عبدالناصر لم يكن يعرف ذلك فبعد الثورة دهش عبدالناصر عندما عرف أن يوسف صديق شيوعى وانتابته حالة شك عميق فى أن (حدتو) تحتفظ سرا بتنظيم لها فى الجيش.

وعلى موعد الثانى أو الثالث من أغسطس انتهى اجتماع وبدأنا جميعا فى تحرك واسع بين الضباط استعدادا للعمل الذى عشنا من أجله طويلا وعملنا من أجله كثيرا..

ولم نبلغ الضباط بالموعد ولكن طلبنا منهم تحسين علاقاتهم بالجنود وبزملائهم الضباط وتحديد إمكانيات وسبل السيطرة على الوحدات وطلبنا من كل منهم أن يترك أرقام تليفونات وأماكن وجوده حتى يمكن الاتصال به فى أى لحظة.

إنها اللمسات الأخيرة للاستعداد للعمل الحاسم.. أخبر أحد الوزراء محمد نجيب بأن السرايا معها قائمة بأسماء الضباط الذين يحركون الجيش ويثيرون الفتن داخله فأسرع نجيب بإخبار الضباط الأحرار وجاءت معلومات للضباط الأحرار بأن حسين سرى سيتولى منصب وزير الحربية وهو من الشخصيات المعادية لهم واليمامه بمعظم خيوط الجيش يساعده على تصفيتهم واحدًا تلو الآخر وهذان الخبران كانا سبب تقديم يوم الانقلاب إلى ٢٢ يوليو ثم أخره عبدالناصر يومًا آخر للتمكن من التجهيز والإعداد الجيد للضباط ليكون يوم ساعة الصفر ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م وتم وضع الخطة وتم مناقشتها فى الاجتماع الأخير للضباط الأحرار.

- ولكنى هنا لن أتعرض لهذه الخطة البشرية التى لم تنفذ وربما لو نفذت فى ميعادها لكانت سببا لنصب المشانق أو الإعدام

يا بالرصاص ولكننى سأتعرض لهذه الخطة الإلهية التى وضعها ه بعنايته لينفذها عبده الشجاع «يوسف صديق» دون دراية ها. وأراد عبد الناصر أن يؤمن الثورة فأبلغ الإخوان والشيوعيين يعاد التحرك لضمان التأييد الشعبى وللتأمين السياسى للحركة بهذا أصبح المسرح جاهزا لبدء العمل...

وقبل أن نبدأ فى أحداث ليلة الثورة لا يفوتنا أن نذكر هذه لشهادة التى سجلتها السيدة علية توفيق عن شجاعة وتضحية وجها البطل يوسف صديق فى كتابها «يوسف صديق وجمال عبدالناصر وأنا» حيث قالت:

«فى تلك الأيام الحاسمة فى تاريخ مصر الحديث وفى النصف لثانى من شهر يوليو عام ١٩٥٢م عاود يوسف نزيف الرئة اليسرى الذى سبق أن تعرض له خلال فترة خدمته بالسودان فى صيف عام ١٩٥٠م، الأمر الذى أجبره حينذاك إلى نقله بالطائرة من السودان إلى القاهرة للعلاج بالمستشفى العسكرى بحلمية الزيتون. كان العلاج يقتضى إلى جانب الأدوية والحقن راحة تامة بالفراش لمدة ثلاثة أسابيع وكان قد عاوده النزيف مرة ثانية فى نفس الرئة فى صيف عام ١٩٥١م ومر بنفس رحلة العلاج، مما ألزمه الفراش كما اعتاد من قبل .فى حين كان موعد قيام الثورة قد

تحدد ليلة ٢٢ /٢٣ يوليو بصفة نهائية. زار جمال عبد الناصر وعبدالحكيم عامر يوسف صديق فى منزله بحلمية الزيتون فى يوم ٢٠ يوليو ليجدا يوسف على هذه الحالة المرضية الحادة أو على حد قول يوسف صديق «ليجداه غارقا فى نزيفه» ولم يكن أمام عبدالناصر إلا أن يعفيه من العمل فى ليلة الثورة خاصة أن باقى كتيبة المدافع ماكينة لم يكن قد وصل من العريش بعد؛ وبالتالى فلن تتمكن من المشاركة فى الثورة فضلا عن أنه يمكن تكليف اليوزباشى عبدالمجيد شديد مساعد يوسف صديق برئاسة مقدمة الكتيبة، حيث إنها قليلة العدد والعدة وواجبها فى خطة الثورة بسيط وهو تدعيم قوات الضباط الأحرار التى ستقوم باقتحام مقر قيادة الجيش.

رفض يوسف صديق بالرغم من حالتة المرضية الحادة أن يفوته الاشتراك فى ذلك اليوم التاريخى الذى طالما انتظره وأقنع جمال بأنه سيؤدى دوره فى الثورة وإذا ساءت حالته فإن المستشفى العسكرى بكوبرى القبة على بعد خطوات من مقر القيادة العامة.»

انتهت شهادة علية توفيق وبقيت شجاعة وتضحية البطل يوسف صديق لهذا الوطن وتقديم دمه وروحه من أجل إعلاء كلمة الوطن عالية مثل علمه ترفرف فى عنان السماء..

الباب الثانى

حقيقة الثورة

الفصل الأول

ليلة عمرى

□□□

الفصل الثانى

الله وحده

□□□

الفصل الثالث

الخلاف والاستقلال

الفصل الأول

ليلة عمرى

«ليلة عمرى» هذا هو الاسم الذى سماه يوسف صديق فى مذكراته على يوم ثورة ٢٣ يوليو. حقا هى ليلة عمره وليس عمره هو فقط بل عمر كل المصريين. جاءت التعليمات لكتيبة يوسف صديق بالتحرك للقاهرة لتنطلق منها للسودان لتأدية الخدمة هناك وذهبت القوة الإدارية أولا بقيادة يوسف صديق إلى معسكر بالقاهرة فى يوم ١٣يوليو وهنا اتصل به جمال عبدالناصر وأبلغه بأن ساعة الصفر ستكون يوم ٢٦ يوليو وأن دوره سيكون احتياطيا لمساعدة القوى الأساسية، حيث إن القوة التى معه الآن فى القاهرة لم تكن الكتيبة كلها بل هى قوة إدارية أساسا تسبق الكتيبة وتسليحها بسيط وبها ستون جنديا فقط معظمهم من الحرفيين المتدربين وعلى الرغم من ذلك بدأ يوسف صديق بتجهيز رجاله وتدريبهم وبث الروح المعنوية فيهم وفرح أكثر عندما زاره جمال عبد الناصر وعبدالحكيم عامر فى بيته بحلمية الزيتون وأخبراه بتقديم يوم ساعة الصفر إلى يوم ٢٣/٢٢ يوليو بعد أن وردتهم أنباء عن كشف خبرهم ومعرفة الملك بما ينوون

عليه من انقلاب عليه وفى يوم ٢٢ يوليو جاء الضابط «زغلول عبد الرحمن» ليخبر يوسف صديق بأن ساعة الصفر هى الساعة الثانية عشرة منتصف الليل تماما وهنا لنا وقفة فقد كانت ساعة الصفر الساعة الواحدة صباحاً لا الثانية عشرة وهنا يحكى يوسف صديق ويضعنا معه فى حيرة بالغة حيث يقول إنه لا يعرف حتى الآن:

- هل أبلغه زغلول عبد الرحمن بالموعد خطأ؟
- أم أنه هو الذى سمع خطأ؟
- أم هى مشيئة الله؟

وأنا مع الثالثة فقد أراد الله أن يكون هذا الرجل كما سماه التاريخ الصادق هو الرجل الذى أنقذ الثورة فلولا هذا التحرك المبكر لتعرضت الثورة لإجهاض فورى وهو ما أكده خالد محيى الدين فى مذكراته حيث قال:

«مرة أخرى كيف تسرب الخبر»؟

الحقيقة أنه تسرب من مصدرين ليس من مصدر واحد:

أحد الضباط الأحرار وهو الملازم أول حسن محمود صالح ذهب مسرعاً إلى زملائه فى سلاح المدفعية ليبلغهم أنه ذهب فى المساء إلى بيته ليرتدى زيه العسكرى فشكت والدته فى الأمر

وكانت تعلم أنه ليس لديه خدمة فى هذا اليوم وأنه على علاقة بحركة مــا، فأسرعت بإبلاغ أخيه اللواء جوى متقاعد صالح محمود صالح بشكوكها ليقوم بدوره بالاتصال بحيدر باشا فى الإسكندرية ليبلغه باعتقاده أن بعض الضباط ينوون عمل شيء ما الليلة.

عرف ضباط المدفعية بهذا النبأ الصاعق الساعة السابعة مساء ولم يكن هناك أى مجال لتغيير أى خطط فقد سبق أن تم تقرير عدم الاتصال التليفونى بأى شخص وكان الجميع قد تفرقوا استعداداً لتحريك قواتهم وكل ما فعلوه هو أنهم أعادوا الضابط حسن صالح إلى بيته لعله يطمئن والدته ولعل هذه الطمأنينة تنتقل عبرها إلى أخيه ومنه إلى حيدر باشا. لكن الشك الذى دخل إلى قلب حيدر باشا لم يكن هناك سبيل لانتزاعه خاصة وأن معلومة أخرى من مصدر آخر قد عززت الشك لديه حتى أوشك أن يصبح يقينا..

فالضابط محمود شوقى وهو ابن خالة ثروت عكاشة وكان معنا. حاول أن يكسب فى هذا الوقت الحرج ضابطا آخر وهو اليوزباشى فؤاد كرارة فأبلغه بأن الجيش سيتحرك الليلة وأسرع كرارة ليبلغ الحكمدار أحمد طلعت حكمدار بوليس العاصمة الذى سارع بدوره بإبلاغ القصر.

وهكذا بدأت ماكينتان فى الدوران.. كل منهما تريد أن توقف الأخرى وتشل فعاليتها ومن ثم تسيطر على القوات المسلحة ومن خلالها على مجمل الوطن ومستقبله - «نصر» خطتنا التى كانت محمولة فى قلوب رجال قرروا أن يهبوها حياتهم - الملك ورجاله وكبار ضباطه يتحركون هم أيضا. اللواء حسين فريد استدعى إلى قصر عابدين على الفور وكلف باستدعاء قيادات الجيش وتكليفهم بالتوجه إلى مواقعهم لفرض سيطرتهم عليها ويعقد اجتماعًا لأركان حرب الجيش فى قيادة الأركان بكوبرى القبة وقد وجهت الدعوة إلى قيادات الأسلحة والمناطق لحضور مؤتمر فى العاشرة. ولم يدع اللواء محمد نجيب إلى هذا المؤتمر بما يعزز الاعتقاد بأن السراى كانت تعتقد بأن اللواء محمد نجيب يقف خلف عملية التمرد الجارية لكن الدعوة وجهت إلى أخيه اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة وعرف محمد نجيب من أخيه موعد المؤتمر والهدف من انعقاده. كانت عدم دعوة محمد نجيب مفيدة جدا لنا ألم أقل إن توفيق الله كان يحيط بنا بل ويلاحقنا فقد تناسب ذلك مع خطتنا التى ترمى إلى إبقائه فى منزله دون أية شبهه تحيط به إلى أن ننجح ثم نستدعيه لتولى القيادة كما كانت عدم دعوته فرصة لبقائه بالمنزل كى يمتلك

حرية الاتصال والإبلاغ عن المعلومات التى حصل عليها من أخيه على نجيب وبالفعل نجح نجيب فى الاتصال بعبدالحكيم عامر ليبلغه بما حصل عليه من معلومات وكان نجيب صاحب فكرة الإسراع باعتقال القادة المجتمعين بكوبرى القبة أثناء خروجهم لشل سيطرتهم وإفشال أية خطة للتحرك العكسى.

كان الوقت متأخرا لتغيير أية خطط وكان إيقاف التحرك غير وارد على الإطلاق مهما كانت الأخطار بل إن إيقاف التحرك سيجلب أخطاراً مؤكدة بمحاكمتنا جميعا أما استمرار التحرك فهو الفرصة الوحيدة لتحقيق الانتصار.

ولكن كيف يمكن اللحاق بهؤلاء القادة العسكريين الذين اجتمعوا فى العاشرة مساء بكوبرى القبة والذين لابد أنهم سيتلقون تعليمات عاجلة بالإسراع إلى معسكراتهم للسيطرة عليها قبل تحرك رجالنا؟».

هنا الاجابة عن تساؤل خالد محيى الدين هى.. «يوسف صديق» فقد كان هو الحل الوحيد لهذه الأزمة التى وقعوا جميعا فيها وقتها. وأيضا أرَّخ هذا الإنقاذ الإلهى للثورة الحوار الصحفى الذى أجرته صحفية الصنداى تايمز مع عبد الناصر حيث قال فيه:

«فى نحو العاشرة من مساء ٢٢ يوليو جاء إلى بيتى ضابط من ضباط المخابرات وعضو فى جماعتنا وإن كنا لم نخطره بما اعتزمنا القيام به لتحذيرى بأن القصر قد تسرب إليه استعداد الضباط الأحرار للتحرك وأنه قد اتصل برئيس أركان حرب الجيش الذى دعى إلى عقد اجتماع عاجل فى الساعة الحادية عشرة لاتخاذ الإجراءات ضدنا «شملت العناية الإلهية الحركة كى تستكمل الثورة وهاهى ذى كتيبة يوسف صديق الصغيرة تتحرك وبمجرد خروجها من المعسكر تجد اللواء «عبد الرحمن مكى» قائد الفرقة المعسكرة بالهايكستب - والذى هم جميعا تحت قيادته - على الأبواب ولو دخل قبل خروجها من المعسكر لكان له الكلمة الأولى فقام يوسف صديق فورا باعتقاله وحبسه فى عربته واستجاب اللواء بهدوء للاعتقال وطلب التأمين على حياته وقد أمنه يوسف صديق واحتبسه دون أذى فى سيارته وانطلقت الكتيبة بقيادة البطل تشق طريقها بالحلم المصرى نحو الحرية والديمقراطية التى كان يأملها يوسف صديق وأثناء سير الكتيبة قابله الأميرالاى عبدالرءوف عابدين وقام يوسف صديق باعتقاله داخل السيارة أيضا ثم انطلق الموكب بقيادة البطل وبعد فترة من المسير راود الشك قلب البطل فلم يجد على الطريق أى لجان أو كمائن

أو قوى عسكرية بقيادة أحد الضباط الأحرار أصدقائه مما يدل على ما اتفق عليه ويطمئنه ولم يكن يعلم وقتها أنه بكّر بالموعد ساعة كاملة ولكنه قرر فى نفسه أن يحقق الحلم أو أن يهلك دونه حتى ولو بمفرده واتجه نحو مقر القيادة العامة للجيش يشق أسراب الشك والخوف وعند اقترابه من المقر فوجئ بتوقف الكتيبة فنزل من عربته ناحية شجار نشأ بين رجاله وبين اثنين بالملابس المدنية وعندما اقترب منهما فإذا بهما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فأفرج عنهما من يد رجاله وذهبوا معا إلى مقر القيادة.. وهنا لنا وقفة مع الملابس المدنية فقد ذكر محمد نجيب فى مذكراته ما هو نصه «وللتاريخ أذكر أن يوسف صديق كان أشجع الرجال فى تلك الليلة وكان هو الذى نفذ عملية الاقتحام والسيطرة على مقر القيادة برغم أن دوره كان حسب الخطة حماية قوات الهجوم والوقوف كصف ثانٍ وراءها وللتاريخ أيضا أذكر أن جمال عبد الناصر وعبدالحكيم عامر لم يقتربا من القيادة إلا بعد الاستيلاء عليها. كانا يقفان فى مكان جانبى قريب أمام سيارة عبدالناصر الأوستن السوداء وقد ارتديا الملابس المدنية ووضعا ملابسهما العسكرية وطبنجتين داخل السيارة وبمجرد أن أحسا بنجاح الاقتحام ارتديا الملابس العسكرية ودخلا القيادة، أما أنور

السادات فكان أكثر منهم ذكاء إذ دخل ليلتها السينما وتشاجر مشاجرة مفتعلة وحرر محضراً بالواقعة حتى إذا ما فشلت الحركة نجح فى الخروج منها كالشعرة من العجين». وهذا ما ورد بعد ذلك فى مذكرات يوسف صديق أنه بعد الاقتحام استأذنه الضابط فى دخول اثنين من الضباط بالملابس العسكرية وهما عبدالناصر وعبد الحكيم عامر بعد تغيير ملابسهما وقد ذكر يوسف صديق موضوع الملابس المدنية هذا فى أبيات قصيدته «فرعون» على النحو التالى:

ولما وقعت وعبد الحكيم ... بأسر رجالى وما يعلمون
فأنقذت روحيكما من هلاك ... ورحت بروحى ألاقى المنون
وقد كنت يوم الوغى هاربا ... تخاف الظنون وتخشى العيون
وقد كنت مختفيا فى ثياب ... تباعد عنك مثار الظنون

ولكن للأمانة التاريخية دافع خالد محيى الدين عن موضوع الملابس المدنية لعبدالناصر وعبدالحكيم عامر أنهما لم يكن لديهما قوات ليتحركا بها ورغبة منهما فى التحرك بحرية وضمان الاتصال بسهولة بأية قوات ويضيف أنه لم يكن هناك أى مجال للتخلص من المسئولية فى حال الفشل وخصوصا لشخص جمال

عبد الناصر وهنا أنا أتركها لله فلا يعلم النوايا إلا الله..

وبعد أن مرت هذه الحادثة وفك يوسف صديق أسر عبدالناصر وعامر من يد رجاله، اتجهت القوة إلى مقر القيادة العامة وهنا وضع يوسف صديق الخطة كالتالى كما ذكرها فى أوراقه فقد قسّم القوة إلى ثلاث فصائل:

الفصيلة(١): تبقى فى عربة اللورى ولا تترجل وتسرع باللورى بالالتفاف من خلف القيادة لتصل إلى مكانها لتغلق الطريق عند باب السوارى لمنع تدخل أى قوات والقبض على أى ضابط من غير الضباط الأحرار وإرساله إلى المعتقل.

الفصيلة (٣): تبقى فى مكانها لقفل الطريق أمام الكوبرى عند نقطة التجمع لمنع أى قوات آتية من ناحية مصر الجديدة أو كوبرى القبة والقبض على أى رتبة من غير الأحرار وإرسالها للمعتقل.

الفصيلة(٢): وهى الفصيلة المنوطة بالاقتحام وكانت تحت قيادة البطل يوسف صديق ولم تدم المعركة إلا ثلاث دقائق على الأكثر كما قدرها هو؛ فبمجرد انتهاء الذخيرة من أسلحة الحرس قاموا بتسليم أنفسهم ليوسف صديق كما توقع ولم يعترضه حين صعوده للدور العلوى إلا جاويش واحد فقط شجاع وأمين – كما

وصفه يوسف صديق - منعه من الصعود وتصدى له فما كان ليوسف صديق إلا أن يصيبه فى قدمه كى يفسحٍ الطريق لتكملة عمله ولكنه علم بعد ذلك بوفاته وحزن عليه جداً..

وسؤالى هنا هل كانت تستحق هذه الثورة زهق هذه النفس البشرية أم أنها لا ترقى أصلا لتكون ثورة؟!

حقيقةً لا أعلم وأترك الإجابة لكل واحد منا ليبحث داخل نفسه..

وفى الدور الثانى من القيادة كان هناك اجتماع من الضباط فى مقر القيادة وخشى يوسف صديق من المقاومة وإزهاق أرواح أخرى وأيضا قوته قليلة فهى لا تتجاوز عشرة جنود بعد توزيع المهام وتقسيم الفصائل وبدأ القلق يراوده لثوان ولكن ما لبث أن ثبته الله بالضابط «حسن الدسوقى» على رأس قوة قد أرسلها «زكريا محيى الدين» بـ٢٠جنديًا لمساعدة البطل يوسف صديق وبمجرد اقتحام الدور الثانى وجدوا أربعة مناديل بيضاء توحى بالاستسلام وكانوا من القيادات فتم اعتقالهم بكل احترام بل إن يوسف صديق زاد مع أحدهم وكان مدرساً له فى الكلية وحيَّاه وودعه بنفسه.

وأثناء اقتحام مقر القيادة العامة كانت الفصيلتان ١و٣ قد اعتقلتا الكثير من قوات الشرطة والجيش الذين تحركوا لإنقاذ المقر وإفشال الثورة. وهنا كما يقول يوسف صديق فلقد أمطرت السماء

جنودا فمعظم الجنود الذين تم القبض عليهم تحولوا إلى قوات يوسف صديق حيث ناداه أحدهم وأخبره أنه يريد أن يشارك فى هذا العمل العظيم فحرره هو ورفاقه ووزع عليهم مهام الدفاع مع زملائهم وقد جاء إليه ضابط آخر ومعه قوة من الجنود وأخبره أنه مكلف أن يأتى إلى المقر وستأتيه التعليمات هناك فأخذه هو وجنوده ووظفهم أيضا فى خدمة الثورة وهنا أحس أنه يمتلك الآن قوة يستطيع أن يفعل بها شيئًا وبعد نجاح الاقتحام احتاج البطل لقسط من الراحة على درج المقر بجوار «حسن الدسوقى» وبعد صمت قطعه يوسف صديق بسؤال لحسن «لماذا تأخر الضباط الأحرار فى التحرك؟ فأجابه حسن بأنه هو الذى تقدم ساعة كاملة وأن موعد ساعة الصفر الواحدة صباحا من يوم ٢٣ يوليو وكانت هذه هى المفاجأة الكبرى ليوسف صديق فكانت هى أول مرة يعرف الموعد الحقيقى لساعة الصفر وهنا عنون يوسف صديق بعض الكلمات فى مذكراته بعنوان «الله وحده» أتركها لكم لتستمتعوا بها دون تدخل.

□□□

الفصل الثانى

الله وحده

أذهلنى الخبر الذى سمعته من (حسن أحمد دسوقى) بتحركى قبل الموعد المرسوم بساعة كاملة وجعلنى أستغرق فى صمت طويل أستعيد فيه تلك الليلة العجيبة. لقد تحركت قبل الموعد بساعة كاملة ومع ذلك فإننى كنت أدفع الخطر من على الأبواب، فلقد دفعت خطر دخول قائد الفرقة إلى المعسكر حيث كان له وحده الأمر والنهى والتصرف على قيد أمتار من بوابة المعسكر ثم كان لقاء الفصيلة (١) مع رجال الشرطة العسكرية فى النقطة (ب) كذلك على قيد خطوات من مدخل القيادة العامة ومعنى وصولهم قبلنا وتعزيز قوة حرس القيادة كان لاشك سيزيد من صعوبة موقفنا ويؤثر فى سرعة احتلالنا (للقيادة العامة) والذى لاشك فيه أن الخطة التى كانت قد رسمت فى رأسى لتحرك الفصيلة (١) باللورى لتجنب الاشتباك مع حرس القيادة كانت ستعطى فرصة لرجال الحرس من تأدية مهمتهم التى كانوا قد أرسلوا لتأديتها وأن تغيير ذلك بالتحرك (بالخطوة السريعة) من يسار

الطريق هو الذى هيأ للفصيلة الحيلولة دون ذلك ولو أنه أفسد على الاستمتاع بحنكتى فى وضع الخطط. وهكذا رأيت أن الله سبحانه وتعالى قد تولى تصحيح تدبير الضباط الأحرار وتدبيرى وكان تدبيره وحده هو الذى يتم وأننا لم نكن سوى أدوات تتحرك لتنفيذ هذا التدبير. تدبير مدبر الأمر العزيز الحكيم.

والأمر كله إذا تدبرناه مليا فإننا لن نختلف على أن كل نجاح صادفناه فى تلك الليلة إنما جاء نتيجة (خطأ) وقعنا فيه فى تدبيرنا فخروج ساعة قبل الموعد كان (خطأ) لا شك فى ذلك فإن الخطة العسكرية توضع متماسكة متكاملة فتحرك قوة قبل موعدها بساعة كاملة قد يربك العمل ويعرضه لأخطاء جسيمة مثله فى ذلك مثل التأخير وربما كان فرق دقائق قليلة مؤثرا فما بالك بساعة كاملة ٦٠دقيقة! ، وكان الخطأ الثانى وهو نزول الجنود بحماس من اللورى عند نقطة إصدار الأوامر بما فيهم الفصيلة (١) التى كنت قد دبرت وصولها باللورى من خلف مبنى القيادة لتجنب الاشتباك مع حرس القيادة هذا النزول بدون أوامر كان خطأ لأن كل شىء فى الجندية بالأوامر ولما كانت طبيعة الأمر تقول بأن (الخطأ) يوصل إلى (الفشل) غير أن حوادث الليلة بينت بوضوح أن الخطأ لم يوصلنا إلى النجاح

فحسب، بل إنه كان (الحل الوحيد) الذى بنى عليه النجاح وهكذا كان الله وحده هو الذى دبر وقدر فى هذه الليلة التى لا أغالى حين أسميها (ليلة عمرى) وكيف لا تكون ليلة عمرى ليلة قضيتها مع الله وكنت فى طاعته ورضاه؟ وأفقت من جولتى فى أحداث تلك الليلة على أزيز محركات الدبابات التى كانت تعنى تحرك القوات الأخرى ولم أسمع فى حياتى صوتا أجمل وأحلى من صوت أزيز المحركات العالية مع ما فيه من نشاز مزعج وقمت ومعى الأخ (حسن أحمد الدسوقى) لنجلس فى مكتب القيادة ولم تمض دقائق حتى جاء حارس من رجال الشرطة العسكرية ليخبرنى بوجود ضابطين على الباب يريدانى وأن أحدهما هو (البكباشى جمال عبد الناصر) وأذنت لهما بالدخول وكانا فى هذه المرة يرتديان الملابس العسكرية وهكذا انتهت الليلة المجيدة الخالدة (ليلة عمرى).

ونجحت الثورة

بعد اقتحام مقر القيادة العامة للجيش والسيطرة عليه تحرك محمد نجيب إلى الأسكندرية ليحاصر الملك فى قصره ويجبره على التنحى وبعد مفاوضات ونقاشات تم إجبار الملك فاروق

بالتوقيع على وثيقة التنازل عن عرش مصر التى أعدها عبدالرازق السنهورى وتم إقناعه بالسفر خارج البلاد ووافق حقنا لدماء الشعب المصرى - كما ذكر هو - ولم يكن نجيب أبخَل منه بل وافق على طلباته حيث حيَّاه بـ ٢١ طلقة مدفعية وتم عزف السلام الوطنى ودار نجيب بقاربه حول باخرة الملك وأدى له التحية العسكرية بل ذهب وسلم عليه يدا بيد وودعه وهكذا أخرج نجيب ورفاقه الملك بشكل مشرف من مصر وهذا ما تمناه نجيب وشرفاء الضباط الأحرار بعد ذلك حين أراد الأشرار التخلص منهم ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه فلم يلقوا المعاملة الكريمة بعد استقالتهم من مجلس قيادة الثورة بل اعتقلوا وأُهينوا هم وأهلهم ومنهم من نفى ومنهم من اغتيل.

ومن الطرائف التى يحكيها يوسف صديق بعد الثورة مع زغلول عبدالرحمن الذى أبلغه بالميعاد أنه كلما قابله وسأله عن سبب الخطأ فى موعد ساعة الصفر يبتسم زغلول ولا يجيب..

المهم نجحت الثورة أو الانقلاب الذى رضى به الشعب وتشكل مجلس قيادة الثورة من ١٤ شخصية هم: جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وأنور السادات وصلاح سالم وجمال سالم وخالد محيى الدين وعبد اللطيف بغدادى وكمال الدين

حسين وحسن إبراهيم ويوسف صديق وعبدالمنعم أمين وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى ورأس محمد نجيب المجلس ثم بعد ذلك رئاسة الجمهورية وكان البطل يوسف صديق من أحد رجال هذا المجلس الأنقياء الذين دائما ما انحازوا إلى معسكر الحق أينما وجد ولكن معسكر الشر كان أقوى وأشد.

❑❑❑

الفصل الثالث
الخلاف والاستقالة

بدأ معسكر الشر فى التحرك بكل قوة وسرعة ضد من عارضهم وقاموا بعدها باعتقال كل من عارضهم وتشريد كل من خرج في مظاهرات ضدهم بل وقد تصل إلى الإعدام مثل عمال كفر الدوار خميس والبقرى. وقام المجلس باستقطاب رجال الدستور لتفصيل وتبرير القوانين والقرارات حسب إرادة المجلس فقد ألغى المجلس دستور ١٩٢٣ وحل الأحزاب ووضع قانون الأحزاب المكبل للأحزاب والإعلان عن فترة انتقالية يقود فيها المجلس البلاد لحين تأسيس حياة ديمقراطية جديدة ووزع المجلس رجاله للإشراف على الوزارات ونال كل واحد منهم وزارة أو اثنتين وقام بشن حملة اعتقالات موسعة فى يناير ١٩٥٣م لكل القيادات المناهضه له شملت ١٤ شخصا من قيادات الأحزاب والعديد من الحركات الأخرى وقام المجلس بتهميش الضباط الأحرار الموجودين خارج المجلس على الرغم من إخلاصهم ومشاركتهم فى كل أعمال الحركة منذ نشأتها حتى قيام الثورة بل وصل الأمر

إلى اعتقال الضباط المعارضين كضباط المدفعية الذين اعترضوا على تصرفات المجلس وتم اعتقالهم وإيداعهم السجون.

وهنا لم يستطع يوسف صديق تغيير هذه القرارات فقد كان القرار بالأغلبية داخل المجلس وكان دائماً الحق أقلية بداخله فلم يستطع التحمل وقدم استقالته فى يناير ١٩٥٣م لتصبح أول استقالة قارئة للمستقبل متحدية للظلم والاستبداد منادية بالديمقراطية والمدنية وصمم يوسف صديق على الاستقالة على الرغم من تدخل الكثيرين لمنعه من تقديم الاستقالة لكنه أصرّ وأعلن موقفه واضحًا وصريحًا للجميع ليبن تمسكه بالديمقراطية وليخلى مسؤليته أمام الله والتاريخ من هذا الغدر الذى يحاك لهذا الوطن البرىء والذى عشنا مرارته طوال هذه السنين التى حكمنا فيها العسكر. فقد كان يوسف صديق يرى من الوهلة الأولى أن دورهم سينتهى عقب الانقلاب وأنهم سيسلمون البلاد مباشرة لقوى مدنية تقوم بتحمل المسئولية بعد أن يقوموا بالرجوع لثكناتهم وهو ما أكد عليه فى خطابه لمحمد نجيب بعد الاستقالة يحثه فيه على تكوين حكومة ائتلافية من كل الأطياف السياسية بمن فيهم الإخوان والشيوعون ودعوة البرلمان المنحل لتولى حقوقه الشرعية وهنا نستطيع أن نتعرض لأسباب الاستقالة كالتالى:

الخلاف حول الديمقراطية

١- السبب الأول لاستقالة يوسف صديق يتمثل فى نكران مجلس قيادة الثورة لمبادئ الضباط الأحرار التى وضعوها والتى لم يقرأها البعض منهم كما ذكرنا وخصوصاً المبادئ المتعلقة بالديمقراطية، وهو ما وضَّحه موقف يوسف صديق فى الخلاف القائم على عودة عمل البرلمان المنحل بعد طرد الملك، حيث إنه بعد طرد الملك وتكوين مجلس قيادة الثورة كان على المجلس تحديد نظام الحكم للبلاد فاقترح البعض رجوع البرلمان المنحل للعمل وتوليه مهام الدولة وكان من أشد المؤيدين لهذا الرأى البطل يوسف صديق وذلك خوفاً منه على مصلحة البلاد وحرصاً منه على سرعة رجوع الجيش إلى ثكناته دون التوغل فى الحياة السياسية وسرعة البدء فى حياة ديمقراطية ولكن للأسف كان على الجانب الآخر معسكر الشر الذى دبَّر وخطط ورفض هذا الاقتراح بحجة عدم الدستورية واعتبر هذا المقترح غير دستورى ورفض عودة البرلمان والحكومة. وبالفعل استقر الرأى على عدم دعوة البرلمان المنحل للرجوع للتمهيد لأولى خطوات الديكتاتورية عن طريق السيطرة على السلطة التشريعية ثم اتباعها بالسلطة القضائية (كما سيأتى)

والتأسيس والتأصيل للاستبداد والظلم، وكان هذا الخلاف هو أول نقطة خلاف بين يوسف صديق ومجلس قيادة الثورة فى التصدى لمخططاتهم ونواياهم السيئة.

الخلاف حول الدستور وتفصيل القوانين

٢- الخلاف الثانى الذى نشأ بين يوسف والمجلس كان بسبب تعطيل الدستور أو سقوط الدستور بحجة أنه غير صالح ومملوء بالثغرات ولا يليق بمصر ما بعد الثورة. وقد كانت هذه الحالة كما قالها السابقون كلمة حق أريد بها باطل فهو حقاً دستور كان به عيوب كأى دستور وضعى ولكن كان من الممكن تعديله أو الاستمرار عليه حتى عمل دستور آخر بعد انتخاب برلمان أو جمعية تأسيسية لكن ها هوذا الباطل المراد يظهر ليحكم مجلس قيادة الثورة بلا دستور وقد واجه يوسف صديق هذا التوجه وعارضه بشدة ولكن لا حياة لمن تنادى..

٣- استمر ترزية القوانين ومستشارى الثورة فى تفصيل القوانين على مقاس الديكتاتور فكانت التفصيلة التالية هى قانون تنظيم الأحزاب وإن شئت فقل قانون تصفية الأحزاب والتمهيد لحكم فردى استبدادى بلا أحزاب. هنا انضم خالد محيى الدين إلى صديقه يوسف ليعترضا بشدة على هذا الاغتصاب المنهج ولكن دائماً ما كان معسكر الشر أقوى وأشد.

الخلاف حول الحرية

٤- جاء وقت الصدام ففى أغسطس ١٩٥٢م قام عمال الغزل والنسيج بكفر الدوار بعمل مظاهرات واسعة احتجاجا على وضعهم المزرى مطالبين بحقوقهم فى الحياة المصونة والعمل الكريم والحقوق العمالية المتعارف عليها مما أثار بلبلة فى البلاد لكن الجلاد كان أقوى وأظلم، فقد أقام مجلس القيادة محاكمة عسكرية لرموز العمال الذين نظموا هذه المظاهرات ووزعت الأحكام عليهم سريعاً وكان من نصيب العامل مصطفى خميس والعامل محمد البقرى حكم الإعدام ولكى ينفذ هذا الحكم عليهما كان لابد من موافقة جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة لكن كان هناك رفض من بعض الأعضاء منهم من انقلب سريعا وغير رأيه ووافق إرضاءً لمعسكر الظلم ومنهم من أصر على الرفض ودافع وكان البطل يوسف صديق على رأس المعارضين الرافضين لحكم الإعدام ولكن على الرغم من ذلك فقد تم تنفيذ حكم الإعدام فى العاملين خميس والبقرى ليزداد الخلاف ويتسع الشرخ.

٥- أكمل المجلس المسير نحو الديكتاتورية فاعتقل المعارضين للمجلس وبدأ يراقب ويهدد السياسيين الأحرار كما قام بغلق بعض الصحف واعتقال مواطنين بدون محاكمات ليذبح قط الحرية مبكراً وبالطبع هذا لم يرض يوسف صديق.

٦- بعد كل هذه التصرفات الديكتاتورية ثار فريق من الضباط المخلصين من سلاح المدفعية على هذه التصرفات وبدأوا يعرضون وجهات نظرهم وآرائهم المناهضة للمجلس بل ووصل الأمر بهم أن اقترحوا أن يكون أعضاء مجلس قيادة الثورة بالانتخاب ليمتلك الشرعية وهذا الرأى قد وافق هوى يوسف صديق فوقف بجانبه وكان مع كل مطالب ضباط المدفعية الأحرار الذين لم يطلبوا إلا الديمقراطية والحق والمساواة ولكن للأسف حدثت طامة كبرى فقد تحرك مجلس قيادة الثورة بشكل بشع ضارباً بآمالهم عرض الحائط ليفعل فعلة شنيعة فى تاريخ الجيش المصرى. فقد اعتقل الضباط برتبهم وملابسهم العسكرية وأودعهم السجون مكبلين بالقيود دون تحقيق أو محاكمات. هنا ثار يوسف صديق ثورة عارمة على المجلس ولم يستطع أحدهم أن يهدأه ووصفهم بالديكتاتورية ونهرهم على هذه الفعلة الشنعاء ولم يستطع المسير مع هؤلاء فى هذه الرحلة الدامية ليقدم أول استقالة من مجلس قيادة الثورة أول استقالة قارئة للمستقبل متحدية للظلم والاستبداد والديكتاتورية فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٣م محتوية على هذه الكلمات الخالدة الموجهة إلى محمد نجيب «لا أقبل أن أهدمك على أيديهم لما بينى وبينك من حب صادق ولا أقبل

أن أهدم مصر على يديك لما بينى وبينها من عهد قديم» وحاول أصدقاؤه أحمد فؤاد ومحمد نجيب وكمال الدين حسين إقناعه بالعدول عن استقالته لكنه أصرّ على موقفه ورفض أن يشارك فى حكم مصر بهذه الطريقة ويتعرض الأستاذ محمد توفيق للاستقالة ويقر بأنه قدم ثلاث استقالات كالتالى:

الاستقالة الأولى

فى يناير ١٩٥٣م عقب القبض على ضباط المدفعية ووضعهم فى السجن وقد قدمها إلى اللواء محمد نجيب الذى كان وقتها رئيس مجلس قيادة الثورة وكانت عبارتها الأخيرة تقول «إننى لا أقبل أن أهدمك على أيديهم لما بينى وبينك من حب صادق ولا أقبل أن أهدم مصر على يديك لما بينى وبينها من عهد قديم» لذلك أرجو قبول استقالتى.

الاستقالة الثانية

أكد بها إصراره على استقالته الأولى وهو فى منفاه بأسوان فى أواخر فبراير ١٩٥٣م.

الاستقالة الثالثة

أرسلها فى برقية مفتوحة إلى اللواء محمد نجيب عقب وصوله

وعودته إلى مصر سراً من منفاه ومعه زوجته وطفلاه وقال فى نصها «وصلت إلى بلدتى وأطلب تسوية حالتى وقبول استقالتى» وكان ذلك في أغسطس سنة ١٩٥٣م وكانت هذه الاستقالة من الجيش كله- في عمل غير مسبوق أن ترسل مثل هذه الاستقالة إلى رئيس الدولة في برقية مفتوحة أرسلها الأستاذ محمود توفيق من مكتب تلغراف مدينة الواسطى.

❑❑❑

الباب الثالث
ما بعد الثورة

الفصل الأول
النفى والإبعاد

□□□

الفصل الثانى
أزمة مارس ١٩٥٤

□□□

الفصل الثالث
الاعتقال

□□□

الفصل الرابع
أخلاق الفرسان

□□□

الفصل الخامس
على طريق الرحيل

الفصل الأول
النفى والإبعاد

اتسع نفوذ المجلس وقاد جمال عبد الناصر المجلس بطريقة المستبد المعكوسة التى أوضحها عبد الرحمن الكواكبى فى كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) حيث يقول «كلما كان المستبد حريصاً على العسف احتاج إلى زيادة جيش المتمجدين العاملين له والمحافظين عليه واحتاج إلى الدقة فى اتخاذهم من أسفل السافلين الذين لا أثر عندهم لدين أو وجدان واحتاج لحفظ النسبة بينهم فى المراتب بالطريقة المعكوسة وهى أن يكون أسفلهم طباعا أعلاهم وظيفة وقربا». وبالضبط سار عبد الناصر ومجلسه على هذا النهج من تقريب الأشرار وتوقيرهم وتنصيبهم على العباد والبلاد وإبعاد الأخيار ووصل الخلاف ذروته وقالها عبد الناصر للجميع «مفيش قعاد هنا»، ونفوا البطل يوسف صديق خارج البلاد كما فعلوا بخالد محيى الدين فيما بعد عندما اختلف معهم وتم نفيه بعدها بعام كامل تأخر فيه وضيّع وقته ظناً منه بأنه يستطيع أن يغير هذه النفوس. لكن يوسف صديق كان أكثر رؤية منه فقد سبقه فى الخلاف بحوالى عام كامل

وهذا يرجع إلى طبيعة كل منهما كما أوضحها أحمد حمروش أحد الضباط الأحرار وهو يصف يوسف صديق بأنه أكثر صراحة وانفعالاً بينما كان خالد محيي الدين أكثر هدوءًا ومرونة. وهذا هو سبب تأخر استقالة خالد محيي الدين لمدة عام كامل بعد استقالة يوسف صديق..زاد الخلاف واتسعت الفجوة وهنا تدخل بعض الضباط للتهدئة ومحاولة الوصول لحل وسط حتى جاءت التعليمات بإبعاد يوسف صديق من المشهد وعدم رجوعه حتى إلى صفوف الجيش حتى لا يثير الضباط ويحمِّسهم ويجعل الجيش يطالب مجلس القيادة بالاستقالة اقتداءً بيوسف صديق والرجوع إلى ثكناتهم لذلك كانت فكرتهم هى إبعاد يوسف صديق عن المشهد تماماً وذلك عن طريق إبعاده إلى أسوان بحجة الراحة والاستجمام بها لفترة غير معلومة من الزمن وحيدا كى تهدأ أعصابه ويستريح جسمه وفكره من عناء السياسة وبالفعل أرسلوا له بعض الضباط فى قريته زاوية المصلوب التى عاد إليها بعد تقديم استقالته ليستريح بها ويكمل فيها بقية حياته كى يأخذوه إلى منفاه الجديد بأسوان وقبل يوسف هذا المنفى المجمَّل وذهب معهم دون صدام يذكر فى حين طلبوا هم منه التماس العذر لهم حيث إنهم كانوا من تلاميذه وضباط كتيبته التى قاد بها اقتحام

مقر القيادة العسكرية وأيضاً كانوا هم عند حسن ظنه ولم يعاملوا قائدهم البطل طوال مدة الإبعاد هذه إلا بكل احترام وتقدير، فقد تركوا له مكانهم فى الاستراحة حينما وجدوا زوجته قد حضرت معه واستأجروا مكاناً آخر بجواره للسكن فيه..

وفى هذه الرحلة القصيرة ظهر معدن الزوجة النفيس (بنت البلد) وهى تقف بكتف زوجها فقد أحست بالقلق عليه وراودها الشك والخوف على زوجها الحبيب فجهزت ملابسها وحقائبها ونوت السفر وما أن وصل يوسف صديق والضباط الحراس المرافقون له حتى وجدوا زوجته علية توفيق مصطحبة معها أولاده وفى انتظارهم فى محطة أسوان فقد سبقتهم بالقطار إلى هناك حيث عرج يوسف ورفاقه على مديرية بنى سويف أولاً ثم سافروا منها إلى أسوان.

اجتمعت الأسرة فى منفاها بأسوان وبعدها مباشرةً تم القبض على زوج ابنته الأستاذ «محمود توفيق» كنوع من الضغط عليه للتنازل عن مبادئه وأفكاره لكنهم لم يكونوا قد فهموا يوسف صديق حتى الآن وأظنهم لم يفهموه حتى بعد مماته.

مكثت الأسرة حوالى شهرًا ونصف الشهر فى إحدى الاستراحات الحكومية ثم عادت للإقامة الجبرية والحراسة

المشددة فى منزلها بحلمية الزيتون ومن الغريب الذى يحكيه ابنه حسين يوسف صديق أن والده بعد سنوات فوجئ بخطاب من هذه الاستراحه الحكومية تطالبه بثمن الإقامة التى قضاها فيها فأرسل يوسف الخطاب إلى جمال عبدالناصر قائلا: «منذ متى يدفع المعتقل إيجار معتقله.. أظنك أولى بهذا الأمر منى». ورجعت عائلة يوسف إلى بيتهم بحلمية الزيتون بالقاهرة وذلك للالتحاق بالدراسة لأن الإجازة كانت قد انتهت وتركوا يوسف وحيدا ولكنه مع الضغط والإصرار استطاع أن يلحق بهم بعد أسبوعين بالقاهرة حيث كان قرار النفى فى انتظاره فقد زاره جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بمنزله ونصحوه بالسفر إلى سويسرا بحجة العلاج فى مارس١٩٥٣م لحين تهدئة الأمور واستقرار البلاد والحفاظ على وحدة الصف وأخبروه أنه سوف يعود بعد ثلاثة أشهر ليمارس عمله بالجيش وبعد مضى ثلاثة أشهر كانت من أصعب الشهور التى قضاها يوسف صديق فى حياته وحيداً غريباً طريداً فى بلاد لا يعرف فيها أحدًا ولا يعرفه أحد ولا يشاور عليه أحد ويقول هذا هو البطل أو هذا هو منقذ الثورة لم يتوقع يوسف هذا المصير المؤلم من الغربة والتشرد والتهميش فقد عانى من ألم المنفى بكل ما تحمل الكلمة من معنى

لمنفى المعنوى والمادى وبعد تحمل هذه الشهور الثلاثة الكئيبة ى عمر يوسف صديق طلب يوسف الرجوع إلى وطنه فظلوا بماطلون ويماطلون وفى النهاية رفضوا وأبلغوه أنه غير مرغوب فيه داخل مصر..

ثم بعد ذلك طلب أن يكون منفاه فى أى بلد عربى كى يخفف من حدة الغربة ولو القليل فعرضوا عليه على سبيل «إطعم الفم تستحى العين» أن يكون سفيراً فى الهند أو أن يوفروا له أى منصب دبلوماسى خارج مصر بشرط أن يبتعد عن مصر وسياستها وينسى أفكاره ويبيع مبادئه لكنه رفض بشكل قاطع ثم تم نقله إلى لبنان كمنفى عربى - كما طلب - وأثناء تواجده بلبنان دبر عبد الناصر حيلة ماكرة لزوجته علية توفيق من خلال جهاز مخابراته فقد اتصلوا بها تليفونياً وقال المتحدث لها: «لقد مات يوسف صديق» ثم قفل الخط وانتهت المكالمة ليضعوا الزوجة المسكينة فى موقف لا تحسد عليه فقد دارت الشكوك فى صدرها وسريعاً ما اتصلت بكل القيادات التى تعرفها لتتأكد من صحة الخبر الذى سمعته ولكنها لم تجد من يروى ظمأها ويطمئنها على زوجها فقررت أن تتصل بجمال عبد الناصر فى بيته وبالفعل تلقت التليفون واتصلت به ولكن ردت عليها زوجة جمال عبدالناصر ليدخلا فى حوار جدلى أدى إلى مشادة كلامية

عرف بها عبد الناصر وأحس منها أنه وصل لهدفه من إثارة قلق علية توفيق على زوجها هنا تدخل بالجزء الثانى من الحيلة الماكرة وعرض على الزوجة علية توفيق هى وأولادها السفر إلى زوجها فى لبنان للاطمئنان عليه والإقامة معه ومساندته فى هذه الفترة الصعبة من حياته فما كان من علية توفيق إلا أن وافقت على هذا العرض للاطمئنان على زوجها خصوصاً بعد ما سمعت الكثير من الاشاعات عن اغتياله فى هذه الفترة وبالفعل ذهبت لزوجها يوسف صديق فى لبنان وبذلك يكون قد ضرب عبد الناصر عصفورين بحجر واحد. فقد استراح من علية توفيق ونشاطها السياسى المعارض فى مصر وفى نفس الوقت أرسل إلى يوسف صديق عائلته معه فى منفاه عسى أن تُشْعِره بالاستقرار وتقبل الوضع الحالى على ما هو فيه ولكن هيهات فيوسف صديق شخصية صعيدية عنيدة رفض الاستسلام للنفى وعاد سراً إلى مصر وذهب إلى قريته الصغيرة زاوية المصلوب ليبقى مختبئاً بها لفترة قصيرة وكان يداعب زوجته فى هذه الفترة بعد رجوعه سراً ويقول «كانوا يريدون أن يدفنونى فى تاج محل بالهند لكنى رفضت فأنا لن أدفن إلا فى قريتى زاوية المصلوب» ولم يخبر أحدا بعودته إلا أقاربه وبعض أصدقائه المقربين كمحمد نجيب فبمجرد نزوله إلى مصر أرسل إليه خطابًا يعلمه بقدومه وأنه يمكث فى قريته فقد

كان بين الاثنين مودة ومحبة ولدتها سنوات الجيرة فى حلمية الزيتون وأيضاً تقارب آراء ووجهات نظر ولدتها مبادئ الإيمان بالحرية والديمقراطية.

وفى أثناء هذه الفترة بزاوية المصلوب عقب هروبه من المنفى ببيروت علم عبد الناصر بهروبه وإقامته بالقرية فضرب عليه الإقامة الجبرية وجاء مأمور مركز الواسطى ليبلغه بأن جمال عبد الناصر وزير الداخلية قد فرض عليه الإقامة الجبرية بمنزله بالقرية وعليه الالتزام..

فحزن يوسف صديق أشد الحزن بل حزنت القرية كلها وانتشر رجال وشباب القرية يواسون عزيزهم يوسف صديق ويساعدون أصدقاءه المتنكرين الذين جاءوا ليزوروه سراً بعيداً عن أعين رجال البوليس فانتظروهم على كبارى البلد وأدخلوهم من داخل الغيطان وألبسوهم ثياب الفلاحين حتى يستطيعوا أن يصلوا للبطل يوسف صديق دون مشاكل ودون أن يعرفهم أحد وعلى الرغم من ذلك فقد استعدت القرية بالكامل للدفاع عن ابنها يوسف صديق بالسلاح حتى ولو كلفها ذلك الدم ولكن مرت الأمور بهدوء ودون مشاكل ولم يلبث أن انتهت الإجازة الصيفية وبدأت الدراسة فانتقل هو والأسرة إلى بيته فى حلمية الزيتون ليعيش تحت الإقامة الجبرية

وحراسة مشددة من البوليس الحربى جعلت تحركات البيت كله إن وجدت تكون بحساب.

وفى هذه الفترة زاره الكثير من الضباط لمحاولة التقريب ووأد الفتنة لكنه قَبِل أى حوار دون التنازل عن أى مبدأ، ولذلك باءت كل المفاوضات بالفشل وفى أثناء فترة النفى خارج البلاد سطر الشاعر يوسف صديق هذه الفترة فى قصيدته «من الجنة» قائلا:

أنا مـن بــلاد رواهـا النيـل فـى كرم
وفى وفـــاءٍ كساهــا أجمــل الحـــلل
فيهـا الجمـال وفيهـا السحر من قدم
كم أوقعت فى شراك الحب من بطل
بشوشةً فى وجـوه الضيـف تسعـدهـم
فيها الحيـاة وتبكـــى كـــل مرتحـــل
حتـــى لقـــد ظـن بعض الغافلين بها
سـوء الظنـــون وقالـو إن تطـب تنـل
فأبعدونـــى إليكـــم ألـــف مغفـــرةٍ
لأهل مصر وإن هـــم شوهـــوا عملـــى
يا أخـت إنـــى شهيـدٌ جئت جنتكم
هل فى الجنان يـداوى الـداء بالشعل

أجر الشهيد سألت الحسن فى وله
وفى الجنان نعيمٌ غير مبتذل
لا تحرمينى رضاب فى عذوبته
شىء من النيل فى طيف من الأمل
يامصر إنى ونار الشوق تفتك بي
على البعاد لأدرى أن حبك لي
فمن فتاك الذى إن سل صارمه
حل القضاء به فى أبرع الحيل
إن الجلاء الذى تبغينه أربٌ
يُنال بالسيف لا يرجى من الدول
فلا يغرنكِ وعدٌ لا وفاء له
كم من خصومك من لؤمٍ ومن مطل
لسوف يأتيكِ يوم تهتفين به
يا للرجال وأين اليوم لى رجلي
لبيك يا أم إنى غير مبتعدٍ
إلا لأكفيك شر الدس والدجل
أنا الوفى الذى لم يثنه دمه
ينساب من صدره عن يومك الحفل
لم يكفنى شرفاً أن كنت شاهده
بل كنت فيه فتى فتيانه الأول

الفصل الثانى

أزمة مارس ١٩٥٤

نجح الانقلاب الذى أيده الشعب بسرعة فائقة ووقف بجانبه لكى يتحول إلى ثورة تسطر فى تاريخ مصر خصوصاً عندما علم بمبادئهم التى أعلنوها فى بداية حركتهم والتى كانت كالتالى:

- القضاء على الاستعمار والجلاء الفعلى لكل جندى أجنبى من مصر.
- القضاء على الإقطاع بكل صوره.
- القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم.
- بناء جيش وطنى قوى يدافع عن كل شبر من أرض الوطن ويقف فى وجه أى معتدٍ.
- تشييد حياة ديمقراطية جديدة على أسس حديثة وسليمة.
- العمل على إقامة عدالة اجتماعية داخل المجتمع أعجب الشعب بهذه الشعارات الرنانة والمبادئ الوهمية، فلم يكن يتصور أن هذا كله كلام على ورق ربما لم يقرأه حتى الكثير من الضباط الأحرار أنفسهم.

خُدع الشعب وأعجب بشعار «ارفع رأسك يا أخى» وقَبِلَ

الانقلاب وأيد مجلس قيادة الثورة بكل قوته حتى ظهرت ملامح الديكتاتورية فقد حل المجلس الأحزاب وألغى الدستور وأعلن فترة انتقالية يمهد بها لحياة عسكرية طويلة الأمد وأصدر قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين، وبدأ الكلام يكثر عن فساد الضباط والأموال السرية والتمهيد لتكوين دولة المخابرات والفضائح الجنسية والمحسوبيات والرشاوى وغيرها وغيرها..

ثم جاءت القشة التى قصمت ظهر البعير وهى استقالة محمد نجيب الأولى التى أعلن المجلس قبولها فى ٢٦ من شهر فبراير على لسان صلاح سالم فى بيان ركيك اللغة بذىء الأسلوب سطحى الأسباب كل هدفه التقليل والتشويه لشخص نجيب مما جعله مادة سخرية للشعب وبالطبع لم يصدق الشعب أى حرف مما قيل فيه بل يذكر خالد محيى الدين أنه سمع أمام أحد المحال رجلا بعد سماع البيان يقول «دول طلعوا ولاد كلب» وجاء فيه أيضاً استمرار مجلس القيادة برئاسة جمال عبد الناصر وتوليه رئاسة الوزراء أيضا..

وغضب ضباط المدفعية بالجيش أشد الغضب وثاروا فى وجه المجلس وأبلغوه برفضهم وطالبوا بعودة نجيب وعودة الحياة النيابية، وهكذا غضب الشعب وغضب رجال بالجيش وتوحدت

القوى الوطنية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار وخرج الشعب في مظاهرات مناديًا بإلغاء هذه القرارات التعسفية الظالمة واهتزت القاهرة بزئير هؤلاء المخلصين الخائفين على مستقبل مصر وحدث الانقسام المتوقع فى صفوف الجيش بين مؤيد ومعارض لنجيب والشعب كله وقف مع نجيب فما كان للمجلس من سبيل إلا أنه وافق على سحب هذه القرارات تهدئةً للشعب الثائر ومكراً وتربصاً به وبالفعل أعلن المجلس بياناً نصه:

«حفاظا على وحدة الأمة يعلن مجلس قيادة الثورة عودة اللواء أركان حرب محمد نجيب رئيساً للجمهورية وقد وافق سيادته على ذلك» فرح الشعب أشد الفرح بهذا القرار وخرج فى مظاهرات احتفالية بعودة نجيب والإحساس بوضع أول قدم على طريق الديمقراطية ومهنئين لانتصار الديمقراطية فى هذه الجولة ولكن حاول البعض إفساد الفرحة كما يحكى محمد نجيب فى مذكراته:

«وفى ذلك اليوم خرجت مظاهرات ضخمة من جامعة القاهرة قاصدة ميدان الجمهورية وكان المتظاهرون يهتفون بحياتى وحياة الديمقراطية وردد بعضهم هتافات معادية لمجلس قيادة الثورة فوقعت اشتباكات بينهم وبين رجال الأمن والبوليس الحربى

بقيادة البيكباشى أحمد أنور الذى كان شديد القسوة والعنف مع المتظاهرين وأطلق رجال الأمن النيران فأصابت البعض وقبضوا على البعض الآخر وكان من بينهم عدد من الإخوان الذين ازداد نشاطهم بعد حل جماعتهم» وهذا الكلام يؤكد مدى حقد ضباط معسكر الشر على نجيب وأعوانه وعلى الحياة الديمقراطية بصفة عامة.

المهم انتهت المظاهرات وأسفرت عن قرارات ديمقراطية تضع مصر على أول الطريق الصحيح لتنطلق نحو آفاق الحرية والديمقراطية - لو كانت نفذت - وهى قرارات ٥ مارس التاريخية والتى كانت كالتالى:

١ - عقد جمعية تأسيسية منتخبة بطريق الاقتراع العام المباشر على أن تجتمع خلال شهر يوليو ١٩٥٤م ويكون لها مهمتان:

أ) مناقشة مشروع الدستور وإقراره.

ب) القيام بمهمة البرلمان إلى الوقت الذى يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقا لأحكام الدستور الذى ستقرره الجمعية التأسيسية.

٢ - حتى تتم الانتخابات فى جو من الحرية تقرر إلغاء الأحكام العرفية قبل إجراء الانتخابات بشهر.

٣ - كما تقرر إلغاء الرقابة على الصحف والنشر.

٤- أن يستمر مجلس قيادة الثورة فى ممارسة سلطات السيادة لحين اجتماع الهيئة النيابية الجديدة.

لكن الفرحة لم تكتمل فقد جاء الغراب ليقتنصها، فقد قيل أن عبد الناصر بعض التفجيرات وأثار بها الفوضى والقلاقل فى المجتمع ليشعر الشعب بأنه فى حاجة للحماية وأن البلاد مازالت غير مستقرة وهذا ما اتهمه به عبداللطيف بغدادى بأنه هو الذى صنع تفجيرات السينمات والمسارح.

أيضا قيل أن عبدالناصر قد اتفق مع بعض قيادات العمال بل اشتراهم بالمال مثل صاوى أحمد صاوى الذى باع نفسه بمبلغ أربعة آلاف جنيه اشترى بها بعض الأفدنة من الأراضى الزراعية بقريته قمن العرروس بمركز الواسطى مقابل حشد العمال وخروجهم فى مظاهرات تنادى ببقاء مجلس قيادة الثورة فى قيادة البلاد وتفعيل الإضرابات بالمصانع وقد ذكر خالد محيى الدين فى مذكراته ما هو نصه «إذن أدرك عبدالناصر أن خطة ٥ مارس لايمكن تنفيذها مع استمرار احتفاظه بالسلطة وبدأ فى الالتفاف على هذه الخطة وترتيب الأمر للاتجاه فى مسار مضاد تماما».

وطوال هذه الأيام انهمك عبد الناصر فى تنفيذ خطته فحشد أكبر قدر من ضباط الجيش حوله وبالتحديد حشدهم حوله على

أساس رفض الديمقراطية وأنها ستؤدى للقضاء على الثورة وبدأ عن طريق طعيمة والطحاوى فى ترتيب اتصالات بقيادات عمال النقل العام لترتيب الإضراب الشهير..

ولك عزيزى القارئ أن تتصور إضراباً لعمال النقل تسانده الدولة وتحرض عليه وتنظمه وتموله.. وأتوقف تحديداً أمام كلمة «تموله» هذه. فلقد سرت أقاويل كثيرة حول هذا الموضوع لكننى سأورد هنا ما سمعته من عبدالناصر بنفسى فعند عودتى من المنفى التقيت مع عبدالناصر وبدأ يحكى لى ما خفى عنى من أحداث أيام مارس الأخيرة وقال بصراحة نادرة : لما لقيت المسألة مش نافعة قررت أتحرك وقد كلفنى الأمر أربعة آلاف جنيه».

انتهت شهادة خالد محيى الدين ولم ينته التاريخ.. وبالفعل تمت المكيدة بنجاح وعمت الإضرابات وخرج الغوغاء والعملاء ورجال البوليس والمخابرات وكثير من الجهلاء المغرر بهم فى شوارع القاهرة ينادون بسقوط الديمقراطية والرجوع إلى القرارات الديكتـاتورية والهجوم على مجلس الدولة وانتصر معسكر عبدالناصر ومن بعدها اعتقل كل من نادى بالحرية والديمقراطية كالبطل يوسف صديق وغيره من أطياف الشعب وبدأ التأسيس للحكم العسكرى الذى قيدنا طوال هذه السنين وتم تصفية

المعارضين واحدا تلو الآخر إما بالنفى أو الاعتقال وأحيانا أحكام الإعدام المجانية، فقد جاء الدور على الضباط الأحرار أصدقاء الكفاح فبدأ بعبدالمنعم عبدالرءوف ومعروف الحضرى وأبو المكارم عبد الحى وحسين حمودة وهم من الإخوان المسلمين ثم لحقهم من مجلس قيادة الثورة بخالد محيى الدين بالنفى ثم باقى الضباط الأحرار المخلصين من بعدهم ظلماً وزورا ولم يسلم الشيوعون أيضاً من الأذى فقد أخذوا أماكنهم فى عمبوكات المعتقلات وكذلك لم تسلم الصحافة والأقلام الحرة من بطشهم. وثبت الحكم العسكرى قدمه بمصر ودور يوسف صديق فى هذه الأزمة كان قويا على الرغم من هذه الحراسة المشددة إلا أنه شارك وبقوة فى أزمة مارس ١٩٥٤م بآرائه المناهضة للديكتاتورية والمؤيدة لمطالب الشعب فقد أراد مقابلة صحفى فى جريدة المصرى يدعى «أمين عبدالمؤمن» ليجرى معه حوارًا صحفيًا يقول فيه آراءه وينشر من خلاله اقتراحاته والتى كانت تمهد للحكم المدنى عن طريق الديمقراطية كما ذكرنا قبل من تكوين الحكومة الائتلافية إلى عودة البرلمان مروراً برجوع الأحزاب وغيره وغيره..

وفعلاً استطاعت إحدى بنات يوسف صديق مقابلة الصحفى سراً وإدخاله إلى البيت المحاصر بشكل سرى وتم عمل الحوار

ونشر به الخطاب الذى أرسله يوسف صديق إلى محمد نجيب محتوياً آراءه واقتراحاته لحل الأزمة وكان نصه كالتالى:

كتب مندوب الجريدة يقول:

«زار القائمقام أركان حرب يوسف صديق عضو مجلس قيادة الثورة سابقاً السيد الرئيس اللواء محمد نجيب وحدثه فى الأوضاع الراهنة ثم أرسل لسيادته كتابا برأيه فى حل الموقف هذا نصه:

السيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيادة الثورة ورئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام لجمهورية مصر البرلمانية السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فلا شك أنكم تقدرون مدى المسئولية التى أتحملها معكم أمام التاريخ عن مصير هذه البلاد نتيجة للعمل الإيجابى العنيف الذى قمت به فى يوم ٢٣يوليو سنة ١٩٥٣م، والذى لا أستطيع أن أفلت من مسئوليته حتى بعد استقالتى من مجلس قيادة الثورة فى فبراير سنة ١٩٥٣م فالتاريخ صارم فى حسابه.

ولا يسعنى وأنا أشعر بهذه المسئولية وأرى ما يجرى فى هذه الأيام الأخيرة من أحداث أن أتخلف عن أداء واجبى نحو هذا الوطن بعرض ما أراه كحل للأزمة الشديدة التى تعانيها البلاد فى هذه الظروف العصيبة حتى أكون قد أديت واجبى كاملاً

نحوكم كزملاء يتحملون مسئولية ضخمة أمام التاريخ ونحو البلاد التى أصبحت فى حاجة ماسة إلى علاج عاجل حاسم تستقر به النفوس وتهدأ الأعصاب وتنام الفتنة التى تطل برأسها على الشعب.

وإنى أعرض رأيى على الوجه الآتى:

١ - إن حال البلاد الآن أشبه بحال المريض ويحاول كل مخلص من أبنائها أن يهتدى إلى العلاج الناجح وأن يهدى إليه الآخرين فإذا طال الجدل فى هذا الموقف دون الوصول إلى العلاج تعرضت حياة المريض إلى خطر محقق. ليس أخطر منه إلا أن يجرعه السم بدل الدواء.

٢ - لايمكن الوصول إلى العلاج إلا بعد التأكد من معرفة الداء.

٣ - بالرجوع إلى التاريخ الذى عملناه من يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م إلى أن وصلنا لهذه الحالة نلمس الآتى:

(أ) بعد طرد فاروق من البلاد فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢م بدأ مجلس قيادة الثورة مناقشة الخطوة التالية التى كانت تتلخص فى هذا السؤال:

«لمن الحكم؟» وكان هناك رأيان فى الجواب عن هذا السؤال أما أحدهما فكان يرى دعوة البرلمان المنحل ليباشر سلطته الشرعية

وأما الآخر فقال بعدم دستورية هذا الحل ورأى أن نذهب مذهباً آخر ثم استقر الرأى على استفتاء قسم الرأى بمجلس الدولة مجتمعاً لهدايتنا إلى التصرف الدستورى السليم فأفتى بأغلبية تسعة أصوات ضد صوت واحد بعدم دستورية دعوة البرلمان وكان الصوت الواحد للدكتور وحيد رأفت..

(ب) سرنا على هدى هذه الفتوى ووصلنا إلى الحالة السيئة الراهنة وتبين أننا ضللنا الطريق .

(ج) بعد أن تبين لنا بوضوح أننا ضللنا طريقنا فلا يكون هناك تصحيح للوضع سوى أن نعود إلى حيث أُشكل علينا الأمر فنصحح طريقنا.

٤- على ضوء هذه الحقائق نجد أن علاج الموقف ينحصر فى أحد حلين لا ثالث لهما:

(أ) دعوة البرلمان المنحل ليتولى حقوقه الشرعية.

(ب) تأليف وزارة ائتلافية تمثل التيارات السياسية المختلفة القائمة فعلا فى البلاد وهى الوفد والإخوان المسلمون والاشتراكيون والشيوعيون تشرف على إجراء انتخابات للبرلمان فى أسرع فرصة حتى تختار البلاد حكامها الشرعيين ويعود الجيش إلى ثكناته ليستعد للقيام بواجبه فى تحقيق أهداف الشعب فى حدود طبيعة عمله التى تنحصر فى الاستعداد لمعركة التحرير.

وأقترح أن يكون رئيس الوزارة المقترحة هو الدكتور وحيد رأفت الذى أكسبته حوادث التاريخ هذا الحق فلا تكون الرياسة محلاً للخلاف.

٥ - أى حل آخر غير هذين الحلين يكون بمثابة إعطاء المريض السم بدل الدواء فيكون مجافياً للديمقراطية التى تنشدها الثورة، ومن ثم يكون سبباً فى استمرار الاضطراب الحالى وما يترتب عليه من سوء النتائج.

٦ - إن استمرار الحكومة الحالية فى حكم البلاد لتصريف شئونها بعد أن أعلن الشعب رأيه فيها وكذلك استمرار الهيئات التى أنشأتها هذه الحكومة كلجنة الدستور مثلا هو استمرار للسياسة التى ثبت فشلها وخطرها، فما دامت الحكومة قد قررت أن تترك للشعب أموره فليس لها أن تفرض عليه أو تقترح له فإنما قمنا يوم ٢٣ يوليو لتمكين الشعب من أموره دون أن تكون لنا الوصاية عليه لاسيما بعد أن أعلن هو رغبته فى ذلك وإصراره عليه وإننى أسأل الله لكم السداد والتوفيق .

والله ولى التوفيق

القاهرة فى ١٧مارس سنة ١٩٥٤م

القائم مقام أركان حرب يوسف منصور صديق عضو مجلس قيادة الثورة سابقا.

وبالفعل نشر الحوار ونص الخطاب فى جريدة المصرى بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٥٤م وبعد نشر الخطاب فى جريدة المصرى زادت الفجوة بين جمال عبدالناصر ويوسف صديق أكثر وأكثر وتم الاعتقال بعدها بأيام..

□□□

الفصل الثالث
الاعتقال

«إن رجالنا لا يبكون».. بهذه العبارة ودّع البطل يوسف صديق ابنه الصغير حسين (٩سنوات) بعدما جاء رجال الجيش بأمر اعتقاله فى صباح يوم ١ أبريل ١٩٥٤م ليودعوه سجن الأجانب مع باقى شرفاء هذا الوطن فى هذه الحقبة التاريخية السوداء من تاريخ مصر..

ومن شدة نذالة هؤلاء المغرضين أنهم بعثوا للقبض على يوسف صديق أحد تلاميذه والذى ظل يعتذر ليوسف صديق وأبلغه أنه يمكن أن يرجع ويعتذر عن هذه المهمة ولكن البطل يوسف صديق ربت على كتفه وأفهمه أنه يعلم أنه مغلوب على أمره وأنهم يقصدون إهانته هو - أى يوسف صديق - ولكنه أبلغ تلميذه أنه غير غضبان منه وأنه عموماً أفضل من ينفذ هذه المهمة عن غيره..

وبعدما دخل يوسف صديق المعتقل فى أبريل ١٩٥٤م لحقت به زوجته فى مايو ١٩٥٤م ولبث فى السجن ١٤ شهرا قضاها أسيراً مريضاً وأُفرج عنه فى يونيو ١٩٥٥م وأثناء تواجده فى السجن رزقت ابنته بمولود جديد فسمته يوسف على اسم جده

فحزن أشد الحزن على عدم تمتعه بالنظر إلى حفيده المسمى على اسمه وكتب قصيدة بعنوان «استقبال الصديق» وكانت كالتالى:

أقبلت تسعى من الظلماء للنور
فأسلمتك دياجيرٌ لديجور
أشرق بنورك فالأيام حالكةٌ
من هول ما اقترفت فينا من الجور
إن الرسالة فى أسمائنا لمعت
فحملتنا ثواب الهدى بالنور
ونحن نعلم أن السجن منزلنا
حتى تُدك حصون الإفك والزور
ونحن نعلم أن الموت موردنا
نلقاه فى الله فى بشرٍ وتكبير
جرد حسامك فالميدان مفتقدٌ
سيفاً يضىء به فى كف تحرير
والحق بقومك أسرع إنهم سبقوا
وخذ مكانك فى ركب المغاوير

تم الإفراج عن البطل يوسف صديق فى يونيو ١٩٥٥م لكنه ظل

تحت تحديد الإقامة هو وأسرته وخاصة زوجته «علية توفيق» أو «الزوجة العقربة» من وجهة نظر جمال عبد الناصر الذى وصفها هذا الوصف لأحد أصدقاء يوسف صديق وأوصاه أن يطلقها ويعود إلى رفقة عبدالناصر!

لكن بالطبع كانت الاجابة بالثبات على المبدأ..

وظل تحديد الإقامة على الأسرة حتى سنة ١٩٥٦ وعلى الرغم من ذلك لم يثنه هذا عن الدفاع عن الوطن ليقود المقاومة الشعبية أثناء العدوان الثلاثى فى عزبة النخل التى انتقل إليها بعد الاعتقال ليعيش مع زوجته علية توفيق التى خرجت أيضاً بعده من المعتقل بعدما رفض يوسف صديق الخروج وحيداً بدون زوجته وطلب خروجها من المعتقل قبله لكنهم وعدوه بأنها ستخرج بعده مباشرةً وبالفعل حدث..

وفى المعتقل سجل يوسف صديق بعض ألوان التعذيب والإهانة التى تعرضت لها كل قوى المعارضة بلا استثناء ومنها ما ذكرناه سابقا وما سرده يوسف صديق لابنته فى إحدى الزيارات عن قصة هنداوى دوير وزوجته.

وفى فترة المعتقل قد سجل أيضاً البطل الشاعر هذه الأبيات إلى جمال عبدالناصر فى قصيدة بعنوان «فرعون» قال فيها:

ألا أيهـــذا الـدعـى اللعيــن ألا أيهــذا الشقــى الحــــرون
لبســـت المســوح وضللتنـــا ولما حكمـت كشفـت الفتــون
أفرعـون مصــر وجبـــارهـــا صحوت لها مـن وراء القـرون
وناديـت فى النـاس إنى إلـــه وأنتـم عبيدٌ ولـى تسجـــدون
ولكــن فـرعـــون دانت لـــه عــروشٌ وعرشـك واهٍ مهيــن
ففـى أرض مصـر غـزاة طغـاة بشعبـك فرعـوننـا يعبثــون
يعيثــون فينــا فساداً وبغيـا وكـم ينهبــون وكــم يقتلــون
سجـنت النسـاء ولـم تحـترم وقار الشيوخ وطـول الذقـون
أعرضى يبـــاح ويلقــى بـــه على ناظريك بقاع السجون ؟
أكل رجالى غــدرت بهـــم ؟ أكـل رجالى من المجرميــن؟
ولـــا وقعــت وعبـد الحكيــم بأســر رجالــى ومـا يعلمـون
وقد كنت مختفياً فـىَ ثيــاب تباعـد عنــك مثــار الظنـــون
فأنقــذت روحيكما من هلاك ورحت بروحى ألاقــى المنـون
أحقق فــى اللــه مــا أبتغــى ومـــا كـنت أحسبكم تبتغـون
غدا تلتقى يا جمـال الوجــوه وتعرف قــدرك مــاذا يكــون

الفصل الرابع

أخلاق الفرسان

يوسف صديق وتأميم القناة

ديليسبس.. كلمةٍ من سبعة أحرف لكنها ليست كالكلمات العادية وإنما هى كلمة من قاموس كلمات الثورة كأختها «نصر» التى كانت كلمة سر ثورة يوليو ولكن هذه المرة كانت «ديليسبس» هى كلمة سر التحرك لتأميم قناة السويس الكلمة التى نطق بها عبدالناصر فى ١٩٥٦ والتى كانت مفتاح تأميم قناة السويس كلمة لن ينساها الشعب المصرى وبقيت خالدة فى تاريخه فهذه الكلمة أيضاً هى التى هيجت مشاعر البطل يوسف صديق وألهبت حماسه ليتناسى الخلاف القائم بينه وبين جمال عبد الناصر ويسانده برأيه ويعلن مؤازرته له ودعمه لقرار تأميم القناة..

ووقع خبر تأميم القناة على الغرب كالصاعقة واضطربت آراؤهم وقراراتهم وبدأوا بإرسال المفاوضين لجمال عبدالناصر لعدوله عن هذا القرار وكان ممن أرسلوهم رئيس وزراء أستراليا فى ذلك الوقت «منزيس» والذى جاء مفاوضا مرهباً مهدداً من عقبات وويلات هذا القرار.

وما أن سمع يوسف صديق بأخبار هذه الزيارة حتى استشاط غضبا وثارت حميته الوطنية واشتعلت بداخله شعلة الشعر ليخرج قصيدته «إلى منزيس» والتى نشرت فى جريدة الجمهورية بتاريخ ١٩٥٦/٩/٣ والتى قال فيها:

رسول الغرب حىّ النيل واخفض
قوامـــك بالتحيـــة والجبينـــا
وحـىّ معالـم التاريـــخ واركـــع
تبـــرك بالقنـــال وطـور سينـا
إلى الوادى المقدس جئت فاخلـع
بـــه نعليـــك شـــأن المؤمنينـا
وتمتـم بالســلام تكـن حصينـــا
وتحيـــا سالمـــاً مـا دمـت فينـا
سعيـت إلى العريـن فكـن لبيبـا
يخـــون اللـب مـن زار العرينـــا
رسول الغرب جئت فكن شهيـدا
وبلـــغ أهلـك الخبـــر اليقينـــا
ألســت تـرى الرجـال مدججينـا
علـى طـول القنـــال مرابطينـــا

وتلـــك نساؤنـــا هبَّـــت بكيـــدٍ

لهن ورحــن يحميــن الحصونـــا

هنـــا شعـــبٌ وراء جمال مـــاضٍ

إلـــى أهدافـــه يقظـــاً أمينـــا

تطـــوع للجهـــاد علـــى ولاءٍ

لقائـــده وأقســـم لـــن يلينـــا

فقـــال للغاصبيـــن هنـــاك مهلا

فمـــا نيـــل المنـــى للغاصبينـــا

وتلـــك قناتنـــا ردت إلينـــا

ومـــا كنـــا لحـــق غاصبينـــا

ففيـــم أقمتـــم الدنيـــا علينـــا

وبتـــم ضدنـــا متـــآمـــرينـــا

رميتـــم سهمكـــم بالغـــدر حينا

وبالتضليـــل والبهتـــان حينـــا

زعمتـــم أننـــا الإســـلام يصحـــو

يهـــدد ديـــن عيســـى أن يبينـــا

فأوهـــى كيدكـــم سعـــى النصارى

بمصـــر إلى الهـــلال معانقينـــا

وأوهـــى كيدكــم أنـــا وقفنـــا
وراء زعيمنــــا صفـــاً متينـــا
وللإســــلام صهــرٌ فى النصـــارى
يولـــد بينهـــم عطفـــا ولينـــا
ومـذ كـــان الســـلام لنـــا إلهـــا
نهانـــا أن نقاتــــل معتدينـــــا
وننصـــر كـــل مظلـــوم يعانـــى
حماقــات الطغـــاة الظالمينـــا
تناصرنا الشعــوب علـــى ســلام
ويقنـــع حقنـــاً هنـــداً وصينـــا
تحيتنـــا «ســـلام» بيـــد أنـــا
نــذود عـــن الســـلام إذا دُعينـــا
ونسحـــق كـــل جبـــارٍ عنيـــدٍ
يهـــدد بالحــــروب الآمنينـــا

يوسف صديق والمقاومة الشعبية للعدوان الثلاثى

العدوان الثلاثى كان هو ردة الفعل التى لم يتوقعها أكثر المتشائمين أن تكون بهذه القوة ولكن كان لكل دولة من الدول

التى أقدمت على العدوان أسبابها الخاصة للمشاركة فيه، فمثلا فرنسا كان لدعم ثورة الجزائر بالسلاح والمال الأمر الذى هدد التواجد الفرنسى فى الجزائر خاصة وفى إفريقيا بصفة عامة أما إسرائيل فكان لديها الكثير من الأسباب ناهيك عن حلمها من النيل إلى الفرات فقد كانت تريد الاستحواذ أكثر وأكثر على أجزاء من الوطن العربى ومن فلسطين وسيناء خصوصاً بعد علمها بتوقيع صفقات سلاح بين مصر والاتحاد السوفيتى ستثرى مصر بالكثير من الأسلحة المتقدمة والمتطورة مما أثار حفيظة إسرائيل ودفعها للمشاركة فى العدوان.

أما بريطانيا فقد أخذتها العزة بالإثم فكيف لمصر أن تؤمم قناة السويس التى كانت تديرها وتدر عليها دخلا لا تحصل على مثله من أكبر مشاريعها فهاجت وماجت وأصرت على العدوان واتحد الظلم يدا واحدة على مصر وبدأت الدول الثلاث بالهجوم، ولكن بفضل الله لم يكتمل مخططهم اللعين بل باء بالفشل فلم تقف معهم أمريكا ولا الاتحاد السوفيتى بل هددت أمريكا بضرب لندن وباريس، وعلى الجانب الآخر فقد وقفت المقاومة الشعبية موقف الرجال ونشطت الفرق الشعبية فى جميع أنحاء البلاد عموماً وفى مدن القناة خاصة، وعلى الرغم من الحصار الذى

كان يعيشه البطل تحت الإقامة الجبرية فإن هذا لم يمنعه من المشاركة فى المقاومة الشعبية فقد ارتدى زيه العسكرى ونزل إلى الشارع كاسراً الإقامة الجبرية منظماً لأفراد المقاومة الشعبية ومدرباً لهم مستخدما خبرته الحربية وحسه العسكرى لينقلب المشهد بدلاً من حبيس إلى قائد للمقاومة الشعبية التى كانت أحد أسباب انسحاب العدوان الثلاثى عن مصر.

وفى الوقت الذى شمت فيه الكثير فى جمال عبد الناصر ولاموه على تأميم القناة بل زاد البعض ودعاه إلى الاستسلام وتسليم نفسه إلى السفارة البريطانية. وتركه الكثير ليقابل الأهوال وحده، فى نفس الوقت نجد بطلنا يوسف صديق يقف بجانبه موقف الأحرار ويتناسى مرة أخرى الخلاف ويناشده عدم الاستسلام والمقاومة حتى آخر قطرة دم..

وقد كان ذلك ظاهراً فى قصيدته «الله أكبر» التى كتبها ونشرت فى جريدة الجمهورية مساندا فيها جمال عبدالناصر وداعياً إلى المقاومة وعدم الاستسلام والتى قال فيها:

لحن من النيل السعيد ترددا
فتراقص الأرز البهيج وغردا
ودمشق رتلت النشيد فهيمت
صبا مشوقا فى عمان فأنشدا

تـلا الحجاز اللحـن فاهتزت له
صنعا ودوى فى العـراق لـه صـدى
ومن الخليـج الفارسـي لأطلـس
شعـبٌ تغنـي بالنشيـد ورددا
هـذا نشيـد البعـث فاسمع لحنه
غنَّاه شعب الضـاد حيـن توحـدا
اللـه اكبـر أذَّن الفجـر فقـم
وارقب سنى النور من الشرق بـدا
الله اكبر بـددت شمـل الدجـى
مـن بعـد ليـلٍ كـان يبدو سرمدا
اللـه اكبـر والسـلام إلهنـا
بـات الطـريق إلى النعيـم معبـدا
فلكـل شعـب أرضـه بكنـوزه
يحيـا بهـا كريمـاً سيـدا
فاليـوم لاشعـبٌ تضيـع حقوقـه
بيـن الطغـاة ولا يُـرى مستعبـدا
الله اكبـر يـا (جمـال) جمعتنـا
والعهـد دون الحـق أن نستشهـدا

فاضرب وراءك أمـة إن تدعهـا
اتسابقت واستعذبت طعم الردى
أوجع خصـوم الحق حتى يسلموا
رغم الأنوف بعدل حقك سجـدا
شعب العروبة قد أتاك مجندا
ووراءه شعـب السـلام مؤيـدا
وإذا الشعوب تحركـت بقلوبهـا
لكريهـة فالنصر بـات مؤكـدا
يا مصـر عهـد الله هـذا بيننـا
أن لا نلين وأن نكـون لك الفـدا
إنـا وعدنـاها إعـادة مجدهـا
فلتشهـد الدنيـا وموعدنـا غـدا

انتهى العدوان الثلاثى على مصر وعاد أهله إلى بلادهم خائبين وانتصر عبد الناصر سياسيا وشعبيا ورفعت الإقامة الجبرية عن البطل يوسف صديق وأسرته كنوع من رد الجميل على كرم الأخلاق الذى أظهره البطل يوسف صديق وقت الأزمات والذى لم يكن يتوقع منه فى حين تخاذلت أقلام الكثيرين وسكت البعض الآخر ليرى إن كان فيها مغنم فيكتب ويكن مع الرابحين وإن كانت خسارة لام وعاتب.

المهم رفعت الإقامة الجبرية ليكمل البطل بقية حياته بشيء من الحرية ولكنه تمنى الكثير والكثير لخدمة وطنه وشعبه ولكن للأسف لم يفسح له المجال للمشاركة فى أى صحف أو مجلات تصدرها الدولة ولم يسمح له أيضاً بأن يتقلد أى منصب عسكرى أو حتى أن يرتقى أى منبر فكرى أو أدبى يستطيع من خلاله خدمة بلده ومجتمعه وعاش بقية حياته يعانى مادياً ومعنوياً فقد عانى جسدياً من آلام العمود الفقرى الذى عاش به طوال حياته ولبس بسببه الجاكت الجبس ولكن هذه المعاناة التى فى سبيل الوطن كانت تهون أمام المعاناه المعنوية التى عاشها طوال حياته وأعتقد بعد مماته والتى تمثلت فى تهميشه وتهميش دوره التاريخى فى تاريخ مصر الحديثة.

□□□

الفصل الخامس

على طريق الرحيل

إعدام ديوان شعر

بعدما أُحيل البطل يوسف صديق إلى التقاعد وخصوصاً فى فترة ما بعد العدوان الثلاثى على مصر لم يكن يوسف صديق مرتبطاً بعمل ما ولذلك كان متفرغاً للقراءة والأدب والسهر الثقافى مع الأصدقاء، ومن هنا كانت فرصة جيدة له كى يجمع كل أشعاره من الصحف والمجلات والأوراق المهملة عنده ويدونها فى دفتر كبير احتفظ به وحافظ عليه وفى إحدى الليالى زاره صديقه الكاتب إبراهيم عبد الحليم ووجد معه هذا الدفتر الملىء بالأشعار فأخذه منه وأصر على طبعه ونشره من خلال دار النشر التى كان يمتلكها ولكن الفرحة لم تكتمل فقد شم رجال البوليس السياسى الخبر وعلموا بأن الديوان سينشر من خلال إبراهيم عبد الحليم فداهموا دار نشره واعتقلوه وصادروا الديوان وبعد فترة أفرجوا عن الكاتب إبراهيم عبد الحليم ولكنهم لم يفرجوا عن الديوان ونفذوا فيه حكم الإعدام..

وبعد وفاة البطل يوسف صديق استطاع ابنه حسين جمع الكثير من أشعار أبيه من الصحف والمجلات ومما يحفظه الأهل والأقارب ومما وجده فى أوراق أبيه وتم نشرها فى عام ١٩٩٩م فى ديوان بعنوان «ضعوا الأقلام».

النكسة والمرض

فى عام ١٩٦٧م قامت إسرائيل بحرب غادرة هزمت فيها الجيوش العربية وفى مقدمتها مصر وقد سماها المؤرخون المجاملون لنظام عبد الناصر نكسة ١٩٦٧ تخفيفا من وطأة كلمة هزيمة وتخفيفاً على الشعب من صدمة الهزيمة السريعة التى مُنى بها الجيش المصرى والذى كشفته على حقيقته أو بالأحرى كشفت بعض قادته الجدد على حقيقتهم وعدم اهتمامهم بالجيش والجرى وراء الممثلات والراقصات فى الملاهى والشقق المفروشة فقد قتل أو فقد من الجيش المصرى حوالى من ١٠ آلاف إلى ١٥ ألف جندى وكما نقل أمين هويدى عن كتاب الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية فى فترة ما بعد النكسة أن خسائر مصر من القوات الجوية كانت بنسبة ١٠٠٪ وخسائر القوات البرية كانت بنسة ٨٥٪ .

وانتهت الحرب باحتلال إسرائيل لسيناء ولم تكن هزيمة

١٩٦م مادية فقط بل كانت هزيمة معنوية أكثر منها فمنذ ذلك
حين وشيء ما انكسر داخل البطل يوسف صديق وبدأ ذلك
ظهر على جسمه فمرت عليه الأيام سوداء قاتمة فلم يتوقع
ن الجيش المصرى العظيم وصل إلى هذه الدرجة من الضعف
على يد هؤلاء اللئام فحزن أشد الحزن على جيشه الذى تربّى
يه وربّى فيه الكثيرين من الأبناء المخلصين لهذا الوطن والذين
كان مصيرهم كمصير البطل بالإحالة للتقاعد وبدأت هذه الحالة
النفسية السيئة تؤثر فيه بدنياً فمرض فى القلب وارتفاع نسبة
لسكر بالدم وارتفاع ضغط الدم بالإضافة إلى مرضيه السابقين آلام
لعمود الفقرى والتى ألزمته لبس الجاكت الجبس لمدة عشرين
عاما ونزيف الرئة الذى لازمه طوال حياته. وزاد عليه المرض
وبدأ يحاصره ويتمكن منه وفى إحدى زياراته المؤازرة والمساندة
لجمال عبد الناصر بعد النكسة نصحه عبد الناصر بالسفر للعلاج
فى الاتحاد السوفيتى وبالفعل فى أوائل سبتمبر من عام ١٩٧٠م
أصدر عبد الناصر قراراً بسفر يوسف صديق للعلاج فى الاتحاد
السوفيتى فى سنة ١٩٧٠م وبالفعل سافر للعلاج هناك بموسكو
ولكن للأسف لم يستطع الطب الروسى تقديم أى شيء للبطل
يوسف صديق لأن المرض لم يكن كما شخّصوه هم فقط ولكنه

كان قد أصيب بالسل والسرطان كما عرف بعد ذلك فى رحلته العلاجية سنة ١٩٧٢م بلندن..!

كتابه: الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى

استغل يوسف صديق فترة علاجه فى الاتحاد السوفيتى واهتم بشئون الإسلام والمسلمين هناك وقرأ فى الاشتراكية ومدى مطابقتها للإسلام من منظور عملى كما يعتقد - كما ذكرنا من قبل - وألف كتاباً بعنوان «الإسلام والمسلمون فى الاتحاد السوفيتى»، وقد احتوى الكتاب على أربعة فصول كانت كالتالى:

- الفصل الأول يتناول مرحلة ما قبل الثورة الاشتراكية.
- الفصل الثانى يتناول المسلمين والثورة الاشتراكية.
- الفصل الثالث يتناول الحياة الروحية للمسلمين.
- الفصل الرابع يتناول شهادات واقعية.

وقد أهدى يوسف صديق الكتاب «إلى أرواح الذين سقطوا فى المعارك ليزيدوا من أرباح تجار الحروب.. إلى كل إنسان ضللوه بزخرف القول فحمل السلاح وراح يقتل نفسه أو أخاه الإنسان لصالح الشيطان. إلى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا..».

وفاة عبد الناصر

آخر مهام عبد الناصر قبل وفاته كانت الوساطة لإيقاف أحداث أيلول الأسود بالأردن بين الحكومة الأردنية والمنظمات الفلسطينية فى قمة القاهرة فى ٢٦ إلى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م حيث عاد من مطار القاهرة بعد أن ودّع صباح السالم الصباح أمير الكويت. عندما داهمته نوبة قلبية بعد ذلك وأعلن عن وفاته فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م وتولى مصر بعده نائبه محمد أنور السادات. أثناء رحلة يوسف صديق العلاجية بالاتحاد السوفيتى سمع بخبر وفاة جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م فما منه إلا أن أظهر أخلاقه الكريمة فبعث ببرقية عزاء للسادات ومعها تأييد للسادات بل كتب قصيدة رثاء فى عبدالناصر يشعر من يقرأها بأن هذين الرجلين لم يختلفا أبداً وأن ما تم بينهما مجرد وجهات نظر وهذه هى صفات الرجال فى الظروف الحرجه فها هو يبكى صديقه ويرثيه بقوافيه الحزينة فى قصيدة بعنوان «دمعة على البطل» تم نشرها فى ذكرى وفاته ليطوى بها صفحة جمال عبد الناصر بحلوها ومرها وقال فيها:

أبا الثوار هل سامحت دمعى

يفيض وصوت نعيك ملء سمعى

وكنـــا قـــد تعاهـــدنـــا قـــديمـــا
على ترك الدمـــوع لـــذات روع
وإن الخطـــب يحســم بالتصـــدى
لهـول الخطـــب فى سيـــف ودرع
ولكـــن زلـــزل الأركـــان منــــي
وهز تماسكـــى مـــن جـــاء ينعـــى
وفاتـك وأنت مـلء الارض سعيـا
وذكـــرك قـائـم فى كـــل ربـــع
بكتـــك عيـون أهل الأرض حولى
فكيـف أصـون بيـن الناس دمعي
قضيت شهيـــد وحدتنـــا تقـــوى
روابطهـــا وتجبـــر كـــل صـــدع
فما للعـــرب فـــى الدنيـــا مكـــان
بغيـــر تماســكٍ وبغيـــر جمـــع
رسمت لنا الطريق وسوف نمضى
علـــى هـــذا الطـــريق بغير رجع
سنمضـــى فى طريـــق الحـــق حتـــى
نطهِّـــر مـــن ثرانـــا كـــل صقـــع

وللعمـــال بالعمـــال نبنـــى
ونصنـع بالمصانـع خيـر صنـع
وللفــلاح بالفــلاح نــروى
صحـــارينا ونـــزرع خيــر زرع
ففـــى العمـــال والفــلاح درع
لثـــورات الشعـــوب وأى درع
جــزاك الله عنـــا كـــل خيـــر
ورواك الرضـــا مـن كـــل نبـــع

المرض والوفاة

وللبطل يوسف صديق مع المرض قصة طويلة انتهت بوفاته تبدأ من عام ١٩٣٤م حيث عانى من المرض فى عموده الفقرى حوالى عشر سنوات إثر تعرضه لحادث موتوسيكل فى بداية خدمته أدت إلى تسوس فى بعض الفقرات مما ألزمه وضع جاكتة من الجبس ثم حزامٍ حديدى حول ظهره لفترة أخرى ولم يكد يخلع جاكتة الجبس سنة ١٩٤٤م حتى أصيب بنزيف بالرئة اليسرى عام ١٩٥٠م أثناء خدمته بالسودان ونقل بالطائرة إلى المستشفى العسكرى بالقاهرة للعلاج لكن النزيف ظل يعاوده وفى ليلة الثورة قام يوسف بدوره الحاسم وهو يعانى من نزيف الرئة

هذا ولم يعالج منه علاجاً حاسماً حتى تطور فى النهاية إلى الإصابة بالسل والسرطان فى تلك الرئة مما أدى إلى استئصالها فى نهاية الأمر بلندن وظل يعانى منها حتى الوفاة وعقب الأحداث الجسام التى مرت به فى السجن له ولأسرته أصيب بمرض السكر وضغط الدم وفى سنة ١٩٧٠م سافر للعلاج فى موسكو وكان مرضه الظاهر فى ذلك الوقت هو السكر والإكزيما وتم الكشف عليه هناك والحقيقة أن مرضه العضال لم يكن فى السكر ولا الضغط ولا غيرهما ولم تكن هذه الحقيقة كما أظهرتها الفحوص بعد ذلك. وفى عام ١٩٧٢م سافر إلى لندن للعلاج وأخذ معه تقارير الأطباء الروس والمصريين عن حالته الصحية وما كادت المستشفى الإنجليزية تضعه تحت الفحوص حتى ظهرت المفاجأة وهى إصابته بورم فى الرئة اليسرى وبتحليل هذا الورم تبين إصابة هذه الرئة بمرضين من أخطر أمراض العصر وهما السل والسرطان وأن المرض قد تمكن من ثلث الرئة السفلى ولابد من استئصاله على الفور وأُدخل إلى غرفة العمليات على وجه السرعة وأجريت له الجراحة الخطيرة التى تم فيها استئصال ثلثى الرئة .

ثم عاد إلى لندن مرة أخرة سنة ١٩٧٣م لتكملة العلاج بعد أن تمكن المرض منه لكن دون فائدة فعاد راقدا على فراشه بالقاهرة منتظرا للموت بشجاعة.

وفى مارس ١٩٧٥م رأى بعض تلاميذه ضرورة نقله إلى مستشفى المعادى للقوات المسلحة وبالفعل نقل من منزله إلى غرفة الإنعاش بالمستشفى حيث كان واضحاً أنه فى ساعاته الأخيرة ورحل البطل يوسف صديق عن عالمنا ليحلق فى عالم الأرواح فى ٣١ مارس عام ١٩٧٥م.

وانطوت صفحة من تاريخ مصر لم يشعر بها الكثير عندما فتحت.. ولا عندما أغلقت.

وقد ختم يوسف صديق حياته الأدبية بهذه الأبيات الرائعة التى يحاور فيها الزمان ويصارعه ويقول:

ختـــام تخـدع يـا زمـان وأخـــدع
وأرى سرابــــا فى القفـــار وأتبــع
عودتنى صبر الرسول على الأذى
علمتنـــى أن الحيـــــاة تسوجـــع
أبنـــى فتهـــدم يازمــان معاقلـــى
وأجـــدد البنيـــان ثـــم تضعضـــع
لا أنت تخضــع يا زمــان لهمتــى
أبـداً..ولا أنــا للنوائــب أخضع

رحل البطل ونعته جريدة الأخبار فى يوم ١٩٧٥/٤/٢ بهذه الكلمات تحت عنوان: مصر تشيع جنازة يوسف صديق..

«شيعت مصر ظهر أمس ابنا من أبنائها الأحرار المرحوم يوسف صديق عضو مجلس قيادة الثورة.

سارت الجنازة من ميدان التحرير إلى جامع جركس. لف جثمان الفقيد بعلم جمهورية مصر العربية ووضع على عربة مدفع.

سارت فى مقدمة الجنازة موسيقات الجيش فى مجموعات رمزية من ضباط الجيش وطلبة الكلية الحربية ثم أكاليل الزهور من رئيس الجمهورية ومختلف أسلحة القوات المسلحة وأمانة الاتحاد الاشتراكى.

وتقدم المشيعين الفريق سعيد الماحى كبير الياوران مندوباً عن الرئيس محمد أنور السادات والرئيس السابق محمد نجيب وحسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية وأعضاء مجلس قيادة الثورة الذين على قيد الحياة والمهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب والدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء والدكتور محمد حافظ غانم أمين الاتحاد الاشتراكى وعدد من الوزراء والضباط الأحرار.

وسارت الجنازة وسط الآلاف من أبناء الشعب الذين اصطفوا

على جانبى طريق الجنازة وفى ميدان التحرير وميدان طلعت حرب وحتى جامع جركس. وتم نقل جثمان الفقيد الكريم إلى مدافن الأسرة بالبساتين.»

جريدة الاخبار ٢/ ٤ /١٩٧٥

□□□

الباب الرابع

بعد الرحيل

الفصل الأول

شخصيات فى حياة البطل

□□□

الفصل الثانى

شائعات حول البطل

الفصل الأول
شخصيات فى حياة البطل

يوسف صديق ومحمد نجيب

كان «محمد نجيب» جار «يوسف صديق» وهذه الجيرة قد ولدت بينهما الصداقة والصحبة الطيبة كما أنه كان بينهم تشابه فى صفات الجيش العسكرية فقد كان محمد نجيب أكبر الضباط الأحرار سناً وأعلاهم رتبة فى صفوف الضباط الأحرار وكان يليه مباشرةً يوسف صديق من حيث السن والرتبة فكان الأقرب إليه أيضا عسكرياً..

ونلمح هذا التقارب والود فى الاستقالة التى قدمها يوسف صديق لنجيب والتى تضمنت كما ذكرنا من قبل كلمات تدل علــى مــدى الــود الحاصل بينهما. وأيضاً نلمحه فى الخطاب الذى أرسله «يوسف صديق» بعد استقالته لمحمد نجيب متضمنا المقترحات التى يراها من وجهة نظره مساعدة للخروج من الأزمة التى فيها البلاد..

وقد كان «يوسف صديق» يقول عن محمد نجيب مدافعاً عنه

أمام هؤلاء الذين يريدون التقليل من شأن نجيب ودوره فى الثورة:

«والذين ينكرون دور اللواء «محمد نجيب» فى حركة الضباط الأحرار يتجنون عليه فقد قال نجيب لا للملك وتنظيم الضباط الأحرار لا يزال سريا» ولم يكن نجيب نذلاً ولا ناكراً للجميل فقد كان محمد نجيب فى مذكراته منصفاً على غير عادة البعض من الضباط الأحرار فقد أشاد بدور «يوسف صديق» فى الثورة واقتحامه مقر القيادة العامة للجيش بفرقته الصغيرة الاحتياطية وأشاد بشخصيته النزيهة الحرة ولم ينسب فضله وتاريخه فى ثورة يوليو إلى أشخاص آخرين كما فعل البعض!

وأيضاً مما ذكره فى حق يوسف صديق فى مذكراته «كلمتى للتاريخ».

«وكان حديث يوسف يستهوينى فى المجلس لأنه شاعر يملك زمام اللغة ولا ينقصه التهاب العاطفة والحماسة ولم يكن مثل جمال سالم تتدفق ألفاظه قبل أفكاره ولكن يوسف كان يقف دائماً فى الأقلية لا يجد معه أصواتاً تشكل الأغلبية..».

ويختم هذه العلاقة الصافية الرائقة «محمد نجيب» بتقدمه المشهد وحضور جنازة البطل يوسف صديق ليكون فى الصفوف الأولى من المشيعين للجنازة وفاءً منه للصديق والبطل يوسف صديق.

الواقف أمام العلاقة بين يوسف صديق وعبدالناصر يحتار كثيراً ولا يستطيع أن يحددها أو أن يضع لها شكلاً معينًا، ففى الخلاف السياسى نرى عبد الناصر ينفى صديق ثم بعد ذلك يعتقله لكنه في مرضه يسفره للعلاج بالخارج وأحيانا يطلب زيارته ويحدثه فى أحوال البلاد وأحيانا يهمله ولا يذكره بخير أو بشر وبالتالى نجد حال «يوسف صديق» معه غريبًا، فمرة يهجوه ومرة يمدحه ومرة يواسيه ومرة يسانده وهكذا..

ولعلنى اهتديت لأفضل تفسير لهذه العلاقة الغامضة بين صديق وعبد الناصر فى هذه الكلمات التى قالها الأستاذ «محمد توفيق الأزهرى» حيث يقول «كانت علاقة «يوسف صديق» بجمال عبدالناصر غريبة فهى من جانب يوسف صديق كانت علاقة بسيطة وواضحة أما من جانب جمال فلم تكن كذلك بل كانت معقدة إلى حد كبير وقد لعبت الطبيعة الشخصية لكل من الرجلين دورهما فى هذا التناقض فقد كان يوسف رجلاً بسيطاً وصريحا لا يعرف اللف ولا الدوران ولا يستعمل أساليب الخداع والمناورة ولا أساليب القهر والإكراه مع زملائه ورفاق دربه وسلاحه ويرى

أن تلك الأساليب والوسائل لا ينبغى أن تستخدم إلا فى ساحة القتال وفى مواجهة أعداء الوطن كما أنه كان يرفض اللجوء إليها فى العمل السياسى الوطنى الذى ينبغى أن يقوم على التمسك بالمبادئ سواء فى الغايات أو الوسائل مهما كانت الصعوبات أو العوائق. فالغايات عنده والوسائل وجهان لعملة واحدة الغاية عنده لاتبرر الوسيلة بل إن الغاية الشريفة تستدعى اتباع الوسائل الشريفة للوصول إليها وإلا ضاع شرف الغاية فى مزالق الطريق وقد عبر يوسف عن هذا المنهج فى سائر مواقفه فى مجلس قيادة الثورة حيث تمسك بالأساليب المبدئية فى التعبير ولم يلجأ أبداً إلى المناورة أو الخداع أو النفاق لأنه كان يعرف أنه يتعامل مع زملاء له فى الثورة وفى رفقة السلاح...

«...وفى ذلك كله كان يوسف يختلف عن جمال اختلافا كبيرا فقد كان جمال بطبيعته رجل مناورات وتكتيك بل إنه كان أستاذاً للتكتيك العسكرى بكلية أركان حرب ومن الواضح أنه وظف هذه الصفة واعتمد عليها فى مختلف مراحل نشاطه فى بناء تنظيم الضباط الأحرار وتجنيد الضباط له برغم الاختلاف الشاسع بينهم فى التوجهات والمفاهيم أو برغم عدم وضوح الرؤية لدى معظمهم وربما أن تحقيق هذا الإنجاز كان يحتاج إلى رجل

من هذا النوع. واعتمد عليه فى الاحتفاظ بوحدة التنظيم والسير بسفينته حتى تحققت عملية الانقلاب الثورى» وهنا أريد أن أكرر جملتين للأستاذ «محمد توفيق الأزهرى» أختم بهما هذا الجزء من علاقة يوسف صديق بجمال عبد الناصر لعلهما يكونان نقطة إيضاح لهذه العلاقة الغامضة وهما :من جانب يوسف كانت علاقة بسيطة وواضحة أما من جانب جمال فلم تكن كذلك..!

يوسف صديق والسادات

كان اللقاء الأول بين «يوسف صديق» و«أنور السادات» أثناء خدمة «يوسف صديق» بسيناء فى عام ١٩٥١ فى بداية التحاق «يوسف صديق» بالضباط الأحرار وكما ذكرنا فقد كان «يوسف صديق» منذ بداية التحاقه مسئول منطقة العريش بسبب قدم رتبته وسنه وشخصيته بين ضباط الجيش وفى أحد الأيام ذهب هو ورفاقه للتعرف إلى أحد الضباط الأحرار بالمنطقة وهو «أنور السادات» وكان مسئول منطقة رفح ولكن «يوسف صديق» عندما دخل على «أنور السادات» لم يكن يتوقع أنه واحد من الضباط الأحرار، بل ظن أنه قد حدث خطأ ما وأنه تواصل مع الشخص الخطأ وهمَّ بالرجوع وذلك على خلفية معرفته بأن «أنور السادات» كان أحد ضباط الحرس الحديدى – عملاء الملك – الذى يتبع

الملك فى كل أموره وتحت قيادته مباشرةً ويقوم بنقل كل صغير وكبيرة فى الجيش إلى الملك. لذلك كانت مفاجأة له أن يرى السادات داخل صفوف الضباط الأحرار ولكن أقنعه رفاقه بأن واحد منهم يجب التعاون معه وامتثل يوسف صديق للنظا كعادته وترك شكوكه جانباً بعد أن أخبر عبد الناصر بها ول يعرها عبد الناصر اهتمامه..

ولم تكن العلاقة بين يوسف صديق والسادات قوية أو مستمر بل كانت سلبية جدا أثناء الفترة التي قضاها صديق فى مجلس قيادة الثورة فقد كان السادات من أتباع (موافقون) لعبدالناصر وعبدالحكيم وعلى الرغم من ذلك فبعد وفاة عبدالناصر وقف يوسف صديق مسانداً للسادات معنوياً وقد ظهر ذلك فى خطابه الذى أرسله للسادات يعزيه فى وفاة عبدالناصر ويشد من أزره فى قيادة البلاد..

لكن الغريب وغير المتوقع من السادات هو ما كتبه عن الثورة وتأريخه لليلة لم يحضرها من الأساس ولم يشهد مواقفها وهى ليلة ٢٣ يوليو وقد اتهمه البعض بالخيانة والتهرب من هذه الليلة لكنه دافع عن نفسه بحجة أنه لم يعلم بالموعد لكن الأغرب أنه كيف يؤرخ ويكتب عن هذه الليلة فى مقالاته المنشورة فى معظم الصحف حينذاك ثم يتجرأ ليدون هذه الشهادة التاريخية فى

كتابيه (قصة الثورة كاملة ويا ولدى هذا عمك جمال) وينسب فضل اقتحام مقر القيادة العامة للجيش «لعبد الحكيم عامر» – الذى قد ترقى بسرعة البرق ليكون القائد العام للجيش وقتها – وينسى أو يتناسى أو يزور جزءاً من تاريخ مصر على حساب دور الفدائى «يوسف صديق» هو ورجاله الذين حملوا أرواحهم على أكفهم فى هذا اليوم لصالح «عبد الحكيم عامر»!

تُرى ماذا أراد السادات بهذه الشهادة الشاذة الغريبة وترى هل وصل إلى ما أراد أم لا..؟!

وفى نهاية حياة البطل «يوسف صديق» أراد السادات أن يكون منصفاً محاولاً إعطاء الرجل جزءًا من حقه فقد وافق على طلب يوسف صديق بإرساله للحج ثم وافق على إرساله إلى لندن للعلاج على نفقة الدولة وبعد وفاته وافق أيضاً على طلبات أولاد «يوسف صديق» وأصدقائه من حيث تشييعه فى جنازة عسكرية ونشر النعى فى جميع الصحف القومية وإذاعة خبر الوفاة تليفزيونياً معلناً خبر رحيل البطل «يوسف صديق»..

يوسف صديق ومصطفى أمين

كان «مصطفى أمين» صحفيا وسياسيا يميل إلى الاتجاه الناصرى فى بداية الثورة فوقف مدافعاً بقلمه عن كل آراء عبدالناصر ومعسكره

وظل شاهراً قلمه على كل المعارضين ومنهم طبعاً بل أولهم «يوسف صديق» ففى أحداث أزمة مارس ١٩٥٤م كتب مقالاً بعنوان (سلاطة) ساخرا من اقتراح يوسف صديق لحل الأزمة ومتهماً إياه بالشيوعية والتخطيط للسيطرة على البلد وكان مما جاء فى المقال:

«..فالدهشة التى يقابل بها مثل اقتراح القائمقام يوسف صديق الذى يجمع الشامى على المغربى والوفدى على الاشتراكى والأخ المسلم على الشيوعى هى دهشة الذين لم يقرأوا التاريخ الحديث ولم يقرأوا شيئا عن التكتيك الشيوعى..».

ثم ختم المقال بـ «وهكذا يمكن تلخيص الموقف بأنه سلاطة والسلاطة أنواع سلاطة بلدى وسلاطة بالخضراوات وسلاطة طحينة وأخيراً سلاطة روسية»..!

والذى نرجوه.. أن نعرف من مسئول (صاحب سلطة) نوع السلاطة التى تطبخ الآن..

مصطفى أمين

جريدة الأخبار ٢٥ مارس ١٩٥٤

ولكن كالعادة لم تدم الصداقة بين الديكتاتور والصحفى فسرعان ما دب بينهما الخلاف وتم الزج بمصطفى أمين داخل المعتقل ذاق فيها من ويلات التعذيب ما جعله يعيد أدراجه ويفكر من جديد..

وبالفعل بعد انقضاء حكم عبدالناصر رجع «مصطفى أمين» عن آرائه الخاطئة فى «يوسف صديق» وأقر واعترف بخطأه فى حق «يوسف صديق» وكان هذا واضحاً فيٍ عدة مقالات كتبها فى ذكرى احتفالات ثورة ٢٣ يوليو وتحديداً فى مقال يوم ٢٧ يوليو ١٩٨٤م ومما جاء فيه من شهادة حق «.. وكان «يوسف صديق» أبعد منى نظراً لأنه كان يرى من داخل مجلس الثورة الخطر القادم وهو خطر حكم الفرد وخطر الديكتاتورية وهو خطر لم نره ولم نصدقه فى تلك الأيام .فقد كان القادة يؤكدون أنهم سينفذون البند السادس من الثورة وهو إقامة ديمقراطية حقيقية يتمتع فيها الشعب بكل حرياته وصدقناهم وكذبنا يوسف صديق..».

وهكذا اعترف مصطفى أمين بخطئه تجاه البطل «يوسف صديق» وإن تأخر كثيرا لكنه اعترف بخطئه وأقر ببعد رؤية يوسف صديق..

وعاد مرة أخرى ليكتب عن «يوسف صديق» فى عدد ٢٨ مارس ١٩٩١م يظهر فيه محاسنه وشجاعته وأخلاقه ومما قاله كختام للاعتراف:

«كان بطلا.. يمشى كبطل ويفكر كبطل ويتكلم كبطل كانت قوته فى صموده وفى إيمانه بأفكاره..».

❑❑❑

الفصل الثانى

شائعات حول البطل

١) الشائعة الأولى التى طالت البطل يوسف صديق هى نفى دوره التاريخى فى الثورة وإلحاقه بعبد الحكيم عامر الذى ترقى بسرعة البرق ليصبح القائد العام للجيش متخطياً جميع الرتب والجنرالات العسكريين بالجيش ولكن وقتها كانت تكفيه رتبة أنه (نسيب عبدالناصر) وكان السادات أكثر من عبدالناصر مجاملةً وتقرباً لعامر وذلك عن طريق ادعاء أن «عبدالحكيم عامر» هو من تحرك وقاد اقتحام مقر القيادة العامة للجيش وأنجح الثورة وتجاهل دور البطل «يوسف صديق» تماما.

وهذا التزييف التاريخى كما ذكرنا من قبل كان على يد «أنور السادات» فى مقالاته وكتبه ولكن هذه الشائعة لم تأخذ حيزا واسعا من الانتشار حيث إنها معلومة معلومٌ مصدرها فهو مصدر لم يحضر الثورة أصلا ولم يعش ضعفها وقوتها خوفها وفرحها يأسها وأملها فكيف له أن يؤرخ لها!

أيضاً كان من المشهور وقتها معرفة ما هو غرض السادات وهدفه من التمجيد والتقرب إلى عبدالناصر وعامر حتى لو على حساب الحقيقة.

٢) أما الشائعة الثانية فهى بكل صراحة ووضوح لا يقبلها عقل ولا منطق ولم أكن لأتطرق لها فى هذا الكتاب لبعدها عن العقل والتصديق ولولا أننى وجدتها قد أخذت حيزا من الانتشار – حتى وإن كان صغيراً إلا إنها فى حد ذاتها كبيرة – ما كنت لأتكلم عنها. وهى إشاعة شرب الخمر أو بمعنى أوضح إشاعة أن يوسف صديق كان سكراناً وقت التحرك فى ساعة الصفر فقرأ عقارب الساعة بشكل خاطئ وبدأ فى التحرك قبل الموعد المحدد بساعة أو ساعتين لأنه قد شرب الخمر من بار فى طريقه إلى مبنى القيادة العامة..

وإنى لأسأل هنا أخى القارئ العزيز بعد كل ما قرأه فى هذا الكتاب عن ملامح شخصية «يوسف صديق» الذى عاب وأقر بخطأ الشيوعيين من حيث ظهورهم بأفكار وأوضاع تخالف الإسلام – كذهابهم للإلحاد وإفطارهم فى رمضان – والذى عنون فصلًا كاملًا فى مذكراته بعنوان «الله وحده» والذى ألّف كتابا عن الإسلام والمسلمين فى الاتحاد السوفيتى هل يعقل أن هذا الرجل بعد كل هذه الصفات الظاهرة من التمسك بمعالم الإسلام والعادات والتقاليد أن يشرب الخمر عياناً بياناً وقبل مهمة خطيرة مثل هذه قد تكلفه حياته بأقل الأخطاء. بعد دراسة شخصية يوسف صديق

لم أتصور ولم أنوِ أصلاً ذكر هذا الموضوع لولا انتشاره بين بعض أفراد من مجتمعنا ولعلنى هنا أحيلكم إلى من هو أفضل منى فى الرد على هذه الشائعة التى لم يكن لها أى دليل واحد والتى ذكرها أحد الكتاب بجريدة الوفد من وحى الخيال وأفضل من رد عليه وفنَّد له هذا الادعاء هو السيد «حسين يوسف صديق» بصفحة الجريدة وأيضاً الضابط «عبدالمجيد شديد» كشاهد عيان على هذه الليلة التى شارك فيها مع «يوسف صديق» وأردت أن أنقل لكم هذه الردود الإيضاحية كما هى والتى كانت على النحو الآتى:

رسالة من العقيد حسين يوسف صديق

السيد الأستاذ/ رئيس تحرير حزب الوفد

تحية طيبة وبعد.

نشرت جريدة الوفد بعدديها الصادرين يومى ٥ و٦ يوليو سنة سنة ١٩٨٧ مقالاً للأستاذ «حمدى لطفى» تحت عنوان «عشرون سنة على هزيمة يونيو والحقيقة لم تظهر بعد» وقد تضمن المقال تشويها للحقائق التاريخية وإساءة لوالدى المرحوم «يوسف صديق» ولدوره ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م.

لذلك أرجو نشر ردى على صفحات جريدتكم فى المكان نفسه

وبالعناوين المناسبة التى نشر بها المقال وهو ما يعتبره القانون حقا كاملا لى.

إن ما ذكره الأستاذ «حمدى لطفى» عن أن المرحوم يوسف صديق خرج بقواته قبل ساعة الصفر بساعتين ليلة ثورة ٢٣ يوليو لا أساس له من الصحة فقد ثبت من الدراسات التى اهتمت بأحداث تلك الليلة وآخرها الدراسة الجادة التى قام بها الضابط الحر جمال حماد بعنوان «٢٢ يوليو أطول يوم فى تاريخ مصر» .

إن المرحوم «يوسف صديق» تحرك بقواته فى ساعة الصفر المبلغة له بالضبط بمعرفة ضابط اتصال قيادة تنظيم الضباط الأحرار النقيب/ «زغلول عبدالرحمن» فى حضور الضابط الحر/ «عبدالمجيد شديد» مساعد أركان حرب الكتيبة الأولى مدافع ماكينة مشاة وتحركت الكتيبة بضباطها ومعها كل من النقيب «زغلول عبدالرحمن» والنقيب «عبدالمجيد شديد» فى الساعة ١٢ منتصف الليل.

أما ما ذكره الأستاذ «حمدى لطفى» عن أن سبب خروج المرحوم «يوسف صديق» قبل ساعة الصفر هو تناول كأسين من الخمر هو فى حقيقته محاولة للنيل من ثورة يوليو والإساءة لشخص المرحوم «يوسف صديق» ولضباطه وقواته التى كانت تلازمه طوال تلك الليلة التاريخية.

يستمر الأستاذ «حمدى لطفى» فى أسلوبه لتشويه الحقائق فيقول «الشهيد الأول للثورة مات بسبب الخمر» ويقصد به الجندى الذى أصيب فى أثناء معركة احتلال رئاسة الجيش والقبض على كبار الضباط المجتمعين لوضع خطة لإجهاض الثورة والحقيقة المعروفة للجميع أن هذا الجندى كان يقوم على حراسة مكتب اللواء «حسين فريد» رئيس هيئة أركان حرب الجيش ورفض إلقاء سلاحه والابتعاد عن موقعه وظل مشهراً سلاحه فى وجه المرحوم «يوسف صديق» والقوة التى معهم ليمنعهم من اقتحام حجرة رئيس هيئة الأركان فلم يكن أمام المرحوم «يوسف صديق» إلا أن أطلق الرصاص على قدمه حتى يبعده عن الطريق دون أن يصيبه إصابة قاتلة لكنه مات بعد ذلك نتيجة ما ذرفه من دماء.

وليسمح لنا قراء جريدة الوفد الأعزاء أن نضع أمامهم الملاحظات التالية:

أولاً: أطلق الأستاذ «حمدى لطفى» هذه القضية سنة ١٩٨٢م بمجلة الوادى وقمنا بالرد عليه بالمجلة نفسها بعددها الصادر فى أول سبتمبر سنة ١٩٨٢م موضحين له خطأ ما ذهب إليه كما قام بالرد عليه ودحض مزاعمه الضابط الحر «عبدالمجيد شديد» بالمجلة نفسها بعددها الصادر أول أكتوبر سنة ١٩٨٢م حيث كان السيد عبدالمجيد شديد ملازما ليوسف صديق طوال تلك الليلة.

(مرفق صورة من رد السيد عبدالمجيد شديد بمجلة الوادى)

ثانياً: هل من المعقول أن يترك يوسف صديق قواته العسكرية وضباطه ومنهم أعضاء فى تنظيم الضباط الأحرار وأسراه من كبار ضباط جيش فاروق بأحد شوارع مصر الجديدة ليذهب إلى بار بالميرا كى يحتسى كأسين من الخمر وهو الذى كان صدره ينزف دما طوال تلك الليلة. وماذا كان موقف ضباط الكتيبة ؟ ألم يعترضوا ؟ أم ذهبوا أيضا لتناول الخمر؟ وهل ذهب الأسرى أيضا من كبار ضباط جيش فاروق لاحتساء الخمر؟ أم جلسوا فى السيارات ينتظرون آسريهم؟

ثالثا: هل كان الرئيس جمال عبدالناصر يخفى هذه الواقعة برغم اختلاف «يوسف صديق» معه منذ الأيام الأولى للثورة خلافا أدى إلى النفى والاعتقال.

رابعا: لم يذكر الأستاذ «حمدى لطفى» هذه الواقعة إلا بعد وفاة «يوسف صديق» وكان الأحرى به أن يكتبها فى حياة «يوسف صديق» مع ملاحظة أن الرئيس عبدالناصر توفى قبل «يوسف صديق» بسنوات.

خامسا: نرى لزاما على الأستاذ «حمدى لطفى» حتى يثبت صحة قصته أن يقدم للقراء ولو شاهدا واحدا حيا يؤيد ما ذهب إليه ممن عاصروا أحداث تلك الليلة ومعظمهم على قيد الحياة والحمد لله.

سادسا: أحداث تلك الليلة التاريخية تناولها كثير من المحللين والكتاب العسكريين والمدنيين شرقا وغربا يمينا ويسارا ولم يرد على قلم أى منهم مثل هذه القصة العجيبة.

سابعا: أقول أخيرا لجريدة الوفد الغراء إنه من حق أى إنسان أن يكون له رأى فى ثورة يوليو أو فى المرحوم «يوسف صديق» ولكن ليس على حساب الحقيقة التى هى أقوى وأبقى من أى زيف أو بهتان إلا إذا كان هناك إصرار على أن يظلم «يوسف صديق» حيا وميتا برغم كل التضحيات التى قدمها لوطنه وشعبه.

عقيد حسين يوسف صديق

١٥ / ٦ / ١٩٨٧

□□□

رد عبد المجيد شديد على هذه الشائعة

أطلعت مؤخرا على العدد الصادر من مجلة الوادى فى شهر أغسطس ١٩٨٢ وبه تحقيق صحفى للأستاذ «حمدى لطفى» عن أحداث ليلة ثورة ٢٣ يوليو نسب فيها إلى المرحوم «يوسف صديق» أنه شرب كأسين من البراندى قبل خروجه مع قواته من معسكر هايكستب وأنه توجه بعد خروجه مع القوات إلى مطعم بالميرا

حيث تناول الخمرة مرة أخرى ليتغلب على آلام النزلة المعوية التى ألمت به بعد أن أكل بطيخ بالمعسكر وبعدما أثرت الخمر فيه توجه إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة هاجمها وسقط خلال هجومه أول قتيل فى ليلة الثورة.. إلى آخر ما جاء فى التحقيق ولما كنت واحدا ممن اشتركوا فى أحداث تلك الليلة مع المرحوم «يوسف صديق» ومجموعة ضباط مقدمة الكتيبة الأولى مدافع ماكينة وحيث كنت أركان حرب هذه المقدمة كما كنت مساعدا للمرحوم «يوسف صديق» فى تنظيم الضباط الأحرار فأرجوا أن أوضح أمرين:

الأول: أننى لازمت المرحوم «يوسف صديق» فى هذه الليلة ولم أره يتناول خمرا فى المعسكر أو خارجه وقد رجعت للزملاء الذين اشتركوا معنا فى هذه الليلة فنفوا الواقعة جملة وتفصيلا.

والحقيقة أن «يوسف صديق» كان يعانى من نزيف حاد عندما التقيت به فى مصر الجديدة بعد ظهر يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢م لنتوجه معا إلى المعسكر لنخرج بقواتنا لنقوم بدورنا فى أحداث الثورة فذهبت معه إلى صيدلية فى ميدان سفير وقام الصيدلى بحقنه فتحسنت حالته وتمكن من القيام بدوره التاريخى فى ثورة ٢٣ يوليو.

الثانى: يتصل بساعة الصفر وهو يقتضى التوضيح حيث

يمس خطة الثورة وقادتها وبعض ضباطها وقد أبلغنا «زغلول عبدالرحمن» أن ساعة الصفر هى منتصف الليل تحركنا فى الموعد تماما ومعنا «زغلول عبدالرحمن» وعندما التقينا بجمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر عند الكربة بمصر الجديدة علمنا أن ساعة الصفر هى الواحدة صباحا أى بعد ساعة من تحركنا وتبين للجميع أن هذا الخطأ فى التوقيت قد أنقذ الثورة إذ أن الأمر قد انكشف للسراى وأن اللواء حسن فريد رئيس هيئة أركان حرب الجيش يعقد اجتماعا لقادة الجيش فى مكتبه بكوبرى القبة وتم الاتفاق على أن تقوم قواتنا برئاسة «يوسف صديق» بالهجوم على رئاسة الجيش والاستيلاء عليها واعتقال القيادات التى تحضر الاجتماع.

وبالنسبة لباقى التحقيق الصحفى فهناك الكثير من الملاحظات على ما جاء به ولا محل لذكرها فى هذا المجال..

سيدى..

أرجو أن تتسع صفحات الوادى الغراء لنشر هذا الإيضاح الذى يمس قائدى وأخى يوسف منصور صديق حيث هو بين يدى اللّه سبحانه وتعالى ولا يستطيع رداً أو توضيحا.

عبدالمجيد شديد

١١ / ٩ /١٩٨٢

بعد اتمامى لهذا العمل الذى أسأل الله أن يكون فى ميزان حسناتى من باب الدفاع عن مظلوم وإعطاء كل ذى حقٍ حقه وإظهار لحقائق قد تكون غائبةٍ أو مغيبة وبعد هذا التوضيحً الذى ذكرته كرد لإشاعة شرب الخمر من خلال خطاب العقيد حسين يوسف صديق والضابط عبد المجيد شديدٍ يشرفنى أن أكون واحداً ممن يحاولون نصرة «يوسف» صديق ميتاً.

حتى لا يكون الرجل ظُلم حياً وميتاً!

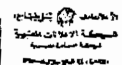
أحمد جمال الواسطى

يوليو ٢٠١٣

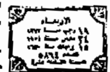
□□□

ملحق الوثائق









نجيب يؤكد قيام الجمعية التأسيسية أو البرلمان مباشرة

رسالة من القائمقام يوسف صديق للرئيس نجيب
رأيه في الظروف التي مرت بها الثورة حتى الآن

اقتراحه قيام وزارة ائتلافية من الوفد والإخوان والاشتراكيين والشيوعيين
برئاسة الدكتور وحيد رأفت لإجراء انتخابات للبرلمان الجديد

القائمقام يوسف صديق يتحدث إلى "المصري"

الشعب هو الذي يرسم سياسة البلاد دائما

الميول الحمراء تلصق دائما بكل حر وقد ألصقت بجمال عبد الناصر وخالد محيي الدين

سبب استقالتي من مجلس قيادة الثورة يفسرها تاريخ الاستقالة

كتب مندوب المصري يقول :

قلت للقائمقام يوسف صديق : ان كتابك الذي ارسلته الى الرئيس اللواء محمد نجيب ونشره المصري لصفاته وسماه أمام الذين لا يعرفونك عشرات من علامات الاستفهام ، خاصة وان احدى الصحف قد خرجت امس تشكك في اتجاهاتك وتتهمك في اخلاصك ، فمن أنت؟ وما هي مبادئك ؟ هل انت من الاخوان ؟ أم شيوعي ؟ أم وفدي؟ أم اشتراكي ؟ أم انت من هؤلاء جميعا ؟ وهل صحيح انك كتبت رسالتك الى الرئيس نجيب بمداد احمر على ورق احمر ؟

ضابط وطني مصري حر

فتحول القائمقام يوسف صديق بنظره بقامته الى الوراء ثم قال : اذا صح لي ان اتحدث عن نفسي فاني اقول انني ضابط مصري ثبت على رأس الضباط الاحرار يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بالقيادة والرئيس الذي مكن للضباط الاحرار من تنفيذ سياستهم ..

مبادئي كل مصري

واما مبادئي فهي مبادئ كل مصري وطني حر مستقل يؤمن بربه وبوطنه وان وحدة مصر هي السلاح الاول الذي تتحقق به جميع اهدافها وان الطمأنينة والاوضاع الطبيعية والاستقرار السياسي والاقتصادي وشعور الناس بانهم سيأمنون في بيوتهم وانهم لن يهددوا اذا قالوا كلمة لصالح العام بالقبض في السجون والمعتقلات او بالنفي اذا كانوا من الاخوان باتهام من اتباع لندن ، واذا كانوا من الاحرار الوطنيين باتهام من عملاء موسكو .. أين كل هذا من مبادئي ؟

بضاعة بائرة لا تروج

واستأنف القائمقام يوسف صديق حديثه قائلا : لقد اصبحت هذه البضاعة بضاعة الاتهامات التي تلقى جزافا بائرة لا تروج عند الشعب لقد اصبح الشعب المصري كامل الوعي لم تخدعه بعد الآن من السجن ، واذا كان الهضيبي وعبد الاخوان المسلمين في مصر حقا في عملاء انجلترا فانا لا يهمني بعد ذلك أن اتهم بأني من عملاء موسكو او غير موسكو ... ومن هو عميل واشنطن ؟ انا لا اسمح اي احد يتهم او تحديد اسم الذي مصر الآن ..

ثم قال : ايها الناس انه مصير الآن ليس فيها وطني ولا الموالي والاشتراكي

البقية على ص ٦

القائمقام يوسف صديق يتحدث الى ((المصري))

بقية المنشور على الصفحة الرابعة

ولا شيوعي فالجميع له ولقوا صفا واحدا وراء كلمة واحدا هي كلمة الوطن وامام هدف واحد هو تحرير الوطن . ومع سائر مع العقائد فانه منهما ومن مواتيها فتحطه الانقسام مع اعداء الوطن وستظهر الايام التي ستستحيل شيوعيا وانني لا ادين بشيء الا بحبي لبلادي لكني أرى ان الشيوعيين الموجودين بمصر هم الآن قوة لا يمكن انكارها الا المكابرة الهرب من الواقع . وانهم كمصريين لهم الحق في مناقشة آرائهم كغيرهم من المواطنين وان انجلترا وامريكا فيهما شيوعيون بل الاولى حزب معترف به ولقد صرح الهضيبي وهو الذي يمثل اكبر معسكر اسلامي في الشرق ان الشيوعية تقاوم بالتوكيد والطواف ولا يمنع أحد من أن يكون لهم حزب ظاهر وان الاسلام كفيل بضمان سلامة طريق التي تسلكها البلاد

كنت عضوا في مجلس الثورة

قلت ان الذين قرءوا كتابك على صفحات « المصري » وقرءوا تعليقه عليه وقرنا بعبارة « عضو مجلس الثورة السابق » اخذوا يتساءلون عن اسمك ويتساءلون عن دورك في حركة ٢٣ يوليو ومن دورك في مجلس الثورة وكيف اصبحت غير عضو فيه فقال :

اما اني كنت عضوا في مجلس الثورة فهذا امر يعلمه كل من تتبع احداث الثورة ، واما ان جميع المصريين لا يعرفون معنى الكثير او القليل فذلك يرجع الى ان سياسة مجلس الثورة في اوائل الحركة كانت مبنية على نكران الذات ، واعلمت دوري في يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فسأتركه للتاريخ وان كان الرئيس اللواء محمد نجيب لم يبخل علي بالحق في مذكراته التي نشرها على الناس حين قال : انني كنت الشرارة الاولى التي انطلقت في هذا التاريخ والتي الفضل لا يزال ايها البكباشي جمال عبد الناصر من هذا الدور وانه اعترف بذلك في ذلك .

سبب الاستقالة

واما اسباب استقالتي من مجلس الثورة فان التاريخ الذي استقلت فيه من المجلس وهو فبراير سنة ١٩٥٣ يستطيع ان يحدد اسباب هذه الاستقالة لكل من في رأسه عيون ترى وفي قلبه بصيرا تبصر

سلمته الرسالة بنفسي

قلت الم يصلك رد من الرئيس اللواء محمد نجيب على رسالتك ؟ فقال :

لقد سلمت رسالتي الى الرئيس اللواء محمد نجيب بنفسي وقد تحدثت معه ساعة وبعض ساعة عما فيها ولا يسعني وانا اشعر بالعهد المحكم الذي يشيع على الثقة والظروف المختلفة المحيطة به الا ان ادعو له بالتوفيق ، فقد عدت بعد هذه المقابلة الى منزلي بالزيتون وانا متفائل خيرا من مسلك الرئيس محمد نجيب عاقدا يستجيب لرغبات الشعب الذي احب والتف به

قلت : لقد اشارت بعض الصحف امس الى ان اقتراحك من قيام وزارة ائتلافية من الوفد والاخوان والاشتراكيين والشيوعيين اقتراح لشخص غير مسئول وساءلت الصحيفة هل انت من الذين يرسمون اليوم سياسة الدولة ام انك لا تزال بعيدا عن مزاولة نشاطك السياسي منذ استقلت من مجلس قيادة الثورة لناسبة ماقيل عن تدبير انقلاب عسكري فما رأيك في هذا الكلام ؟ هل كنت الزعيم حقا المتهم بانقلاب عسكري ؟

الشعب هو الذي يرسم سياسة البلاد

فقال : احب ان اواجه الحقيقة التي تتجلى في ان الذي يرسم سياسة البلاد الآن وعالما هو الشعب وليس هو يوسف صديق ولا مجلس الثورة ولا أي فرد او هيئة انما هو الشعب الذي يرسم سياسته لنفسه بنفسه . وما كان اقتراحي في هذا الصدد سوى دعوة لرجل لا تترك المسئولية والوضع الخطير للبلاد وله غيرة على وطنه ويحب كما يحب اي مخلص ان تسير السفينة الى شاطئ السلام دون ان تضيع جهودنا ونفنى قوانا في التخاصم والتطاحن ونترك العدو يسعد بهذا الهدم

اما مسألة ميولي الحمراء فان هذه الميول تلصق دائما بكل حر . ولقد الصقت اخيرا وبشكل مفاجئ بالصاغ خالد محيي الدين ، واستطيع ان ارد ان هذه التهمة قد وجهت في وقت من الاوقات الى البكباشي جمال عبد الناصر نفسه كما وجهت للثورة كلها في يوم ما ، ولهما وجهوا الينا من تهم لتحطيم الروح في طريقنا فلعله عليه اشتغالنا عن هذه الاتهامات .

أنا الذى قبضت على رئيس أركان حرب الجيش!

قصة استقالتى من مجلس القيادة هى قصة الدستور!

على ماهر حاول التخلص من تحديد موعد الانتخابات

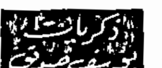
القوات الإنجليزية كانت على بعد ٥٠ كيلو من القاهرة!

استعمال العنف لا يكون إلا مع العدو الخارجى..!

الإنقلاب الذى دبرته كان مجرد مظاهرة عسكرية

الجيش أصبح من الوعى بحيث لا يستخدم ضد الشعب





حديث الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية

مع د ‎.‎ و‎.‎ مورجان مندوب الصنداى تيمس الانجليزية

يونيو سنة ١٩٦٢

س : وقال دافيد وين مورجان :

ـ لقد كانت ليلة مثيرة دون شك .... ولابد أن ذكرياتها ستعلق زمنا طويلا فهل نستطيع أن نعرف الخطوط الرئيسية فى سير الاحداث تلك الليلة ؟

جـ : وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

فى نحو الساعة العاشرة من مساء ٢٢ يوليو جاء الى بيتى ضابط من ضباط المخابرات وعضو من جماعتنا وان كنا لم نخطره بما اعتزمنا القيام به ـ لتحذيرى بأن القصر قد تسرب اليـه نبأ استعداد الضباط الاحرار للتحرك وأنه قد اتصل برئيس اركان حرب الجيش الذى دعـا الى عقد اجتماع عاجل فى الساعة الحادية عشر لاتخاذ الاجراءات ضدنا .

وكان لابد من اتخاذ قرار فورى ـ فلو أننا تركنا كل شىء ليتم فى ساعة الصفر المتفق عليها وهى الواحدة صباحا ـ لقد يدركونا قبل أن ندركهم ومن ناحية أخرى كانت الاوامر قد وزعت وكان من أصعب الامور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع .

تسعون دقيقة :

وانضم الينا ضابط المخابرات وخرجت مع عبد الحكيم عامر لتجميع بعض القوات من ثكنـات العباسية ووصلنا متأخرين فقد وجدنا أن البوليس الحربى قد أغلق الثكنات فمضينا الـى ثكنات الفرسان والمصفحات فوجدنا ايضا أنهم سبقونا وكان البوليس الحربى يحرس كل المداخل وبدا للحظات أن خطتنا كلها فى خطر ـ ولم يبق على ساعة الصفر الا تسعون دقيقة وبدا أن خطة الثورة كلها تدخل فى مرحلة من تلك المراحل الخطيرة فى التاريخ عندمـا تتدخل قوى أكبر منا لتوجيه الاحداث ..... ولقد تأكد لى من تطورات الامور أن عناية

بعده ......(؟)

اللــــه كانت تلك الليلـه معنـــا ٠

طابـور من الجنـــود :

لقد انطلقنا لنتوجه الى ثكنات العباسية كحل أخير ــ وكنت أسير بسيارتى الأستن الصغــــيرة ومعى عبد الحكيم عامـــر ــ وفى طريقنا التقينا بطابور من الجنود قادمين فى نفس الطريـــق تحت الظلام ــ وأخرجنا الجنود من السيارة وألقوا القبض علينا ــ لكن الجنود كانـوا فـــى الحقيقة من قوات الثورة ــ وكانـوا ينفذون أوامرى بالقاء القبض على كل ضابط فوق رتبة القائمقام دون مناقشة ــ ولم يكن الجنود يعرفون من أكون فتجاهلوا كل كلامنا لمدة عشرين دقيقـــة تقريبا كل دقيقة منها أثمن ما يكون ــ ولم تصدر الاوامر فورا باطلاق سراحى وسراح عبد الحكيم عامر الا حين تقدم البكباشى يوسف صديق قائد المجموعة وأحد زملائى المقربين ليستطلـــع سر الضجة ولم أسعد لرؤية أحد فى حياتى كما سعدت حين رأيت يوسف صديق يخـــرج من الظلام فقد تحرك قبل الوقت المحدد له ــ وكان ينتظر حتى تحل ساعة الصفـــر المعينــة ليبـــدأ الهجـــوم ٠

وانضممنا الى الطابور وقررت الا ننتظـــر واتجهنا فورا الى القيادة وكانت قوتنا لا تزيد عـــن قوة سريـــة ــ لكن عنصـــر المفاجأة كان فى جانبنـــا ٠

اقتحمنـــا مبنى القيادة :

لقد اعتقلنا فى الطريق عددا من قادة الجيش الذين كانوا يحضرون الاجتماع فى القيــــادة لتوجيه الضربة ضدنـــا ٠

وحدثت مقاومة قصيرة خارج القيادة ثم اقتحمنا مبنى القيادة نفسه ووجدنا رئيس هيئة أركان حرب وكان على رأس المائدة يضع مع مساعديه خطة الاجراءات التى ستتخذ ضد الضباط الأحـــرار واعتقلنا عليهـــم جميعـــا ٠

بعـــده ٠٠٠٠٠٠ (٣)

(٣)

في الساعة الثالثة صباحا ـ التقت نفس المجموعة (مجموعة الضباط الذين كانوا قد التقوا قبل ذلك بعدة أيام التقوا من جديد) لكن التقاءهم هذه المرة كان في حجرة الاجتماعات بالقيادة العامة ـ وأوفدت من يجيء باللواء محمد نجيب الذي كنا قد فاتحناه قبلها بيومين في احتمال انضمامه الينا اذا ما نجحت المحاولة ـ ولم نكن قد أطلعناه على أحداث الليلة لكن تبين لنا أنه كان له علم سابق بما حدث .

لقد اتصل به وزير الداخلية تليفونيا في الاسكندرية قبل ذلك بنصف ساعة ليستفسر منه عما يجري وأمكنه أن يجيبه بأنه لا علم له بشيء دون أن يكون كاذبا في كلامه .

فكرة!

مرت الاحتفالات بأعياد ثورة ٢٣ يوليو ، ونسينا ونحن نتحدث عن أبطال هذه الثورة اسم واحد من أبطالها ظلمناه حياً ويجب أن ننصفه ميتاً، وهو القائمقام يوسف صديق وقد أثبت شهود الثورة يوم مولدها أنه لولا تحرك الكتيبة التي كان يقودها يوسف صديق من معسكر هاكستيب قبل ساعة الصفر بساعة واحدة مخالفاً بذلك خطة قادة الثورة ، ولولا أنه قبض على القادة المجتمعين في القيادة واستولى عليها ، لولا ذلك لفشلت الثورة وزج بجميع قوادها في السجون .

وثبت أيضاً من شهادة شهود تلك الأيام موقف يوسف صديق من قضية الديموقراطية منذ بداية الثورة حتى استقال من مجلس قيادة الثورة وقيل يومئذ أنه كان يدبر لانقلاب عسكري ، وأبعد الى أسوان ، ثم أبعد الى سويسرا للعلاج ثم تقرر تعيينه ملحقاً عسكرياً في الهند لإبعاده عن مصر ، ثم ظهر أنه كان يناضل نضالاً شجاعاً دفاعاً عن الديموقراطية وحق الشعب في أن يحكم نفسه بنفسه ، وقد قبل راضياً أن يخرج من قيادة الثورة الى زنزانة في السجن الحربي ، وأن يوضع معه في نفس السجن أشقاؤه وأقرباؤه وزوجته ، مفضلاً هذا الهوان على أن يشترك في الحكم الفردي الذي لا يقره ضميره .

وأذكر أنه كتب في ١٧ مارس سنة ١٩٥٤ كتاباً الى اللواء محمد نجيب وكان يومئذ رئيس مجلس الثورة يقترح تأليف وزارة ائتلافية تمثل التيارات السياسية المختلفة القائمة فعلاً في البلاد وهي الوفد والاخوان المسلمون والاشتراكيون والشيوعيون ، تشرف على إجراء انتخابات البرلمان ، واقترح أن يرأس هذه الوزارة الدكتور وحيد رأفت .

وأذكر أنني كتبت يومها أعارض يوسف صديق في اقتراحه الذي قلت أنه يجمع الشامي على المغربي والوفدي على الاشتراكي ، والأخ المسلم على الشيوعي . وكان يوسف صديق أبعد مني نظراً لأنه كان يرى من داخل مجلس الثورة الخطر القادم ، وهو خطر حكم الفرد وخطر الديكتاتورية . وهو خطر لم نره ولم نتصوره في تلك الأيام ، فقد كان القادة يؤكدون أنهم سيقبلون . البند السادس من الثورة وهو اقامة ديموقراطية حقيقية يتمتع فيها الشعب بكل حرياته ، وصدقناهم ، وكذبنا يوسف صديق بسبب ميوله الحمراء . وجاءت الأيام بعد ذلك تؤكد كل ما تنبأ به يوسف صديق ، وأذكر أنه زارني في مكتبي وسلمني صورة من مذكراته ، وما أزال احتفظ بها الى اليوم .

اعتقد أن من حق يوسف صديق الذي تعرض هو وأسرته وزوجته لكل أنواع البهدلة أن ننصفه ونطلق اسمه على أحد شوارع القاهرة ، أو على أحد شوارع بني سويف ..

يجب أن تكون لدينا الشجاعة أن ننصف كل إنسان ظلمناه .

مصطفى أمين

فكرة!

هذا رجل اختلفت معه واحببته حاربني وحاربته. طالب برأسي واحترمته. اختلفت مع البكباشي يوسف صديق عضو مجلس الثورة. كان يؤيد محمد نجيب وكنت أؤيد جمال عبدالناصر. وكان يقول لي أن جمال عبدالناصر يريد أن يكون ديكتاتورا، وكنت أؤكد له ان جمال عبدالناصر يريد الديموقراطية. وكان هو على حق، وكنت أنا على خطأ. وكان عذري أنني سمعت عبدالناصر بنفسي وهو يؤكد انه يريد الديموقراطية وان زملاءه اعضاء مجلس الثورة هم الذين يصرون على الدكتاتورية

وتحمل هذا الرجل ما لا يتحمله البشر. كان دمه ينزف وهو يقود القوة المكلفة بالاستيلاء على رئاسة الجيش في الليلة والقبض على كل القادة. وحدد له عبدالناصر موعدا للتحرك ولم يحترم هو هذا الموعد وتحرك قبل ساعة من ساعة الصفر واعتقد البعض ان هذا سيؤدي الى فشل الثورة. واثبتت الأيام بعد ذلك ان تحركه هذا هو الذي أنقذ الثورة من الفشل. فقد ظهر ان الملك عرف بهذا السر قبل موعد التحرك بعدة ساعات.

وقيل انه شيوعي ولهذا اخرجوه من مجلس الثورة. ولم يحاول أن يحارب الثورة وبقي يتفرج من بعيد. ولكن القبضة الحديدية وصلت اليه واعتقلته واعتقلت زوجته وشقيق زوجته وعاش بعد ذلك مطاردا مغضوبا عليه من كل الجهات. وكان شريفا في خصومته يقول رأيه ولا يخاف. وضع رأسه على كفه ليلة ٢٣ يوليو، وبقي واضعا رأسه على كفه الى ان مات. تعرض لأزمات مالية حتى جاء وقت لا يجد فيه ثمن الدواء. ومع ذلك لم يمد يده للسلطات ولم يرسل يرجو ويتوسل ويطلب العفو. كان يستطيع في تلك الليلة ان يحكم مصر، وان يطالب بحقه في قيادة الثورة. ولكنه كان رجلا متواضعا يرفض ان يفرض نفسه او يطالب بحقه في النفوذ والسلطان. قال لي يوما لبضع ساعات كنت استطيع أن أصبح حاكم مصر ولكنني فضلت ان اتراجع خطوتين الى الوراء خشية أن تفشل الثورة ولست نادما الآن على انني فعلت ذلك

كان بطلا يمشي كبطل ويفكر كبطل ويتكلم كبطل. كانت قوته في صموده وفي ايمانه بأفكاره المتطرفة. وفي اثناء ازمة مارس كتب مقالا يقول فيه ان الحل هو أن تتولى الحكم وزارة يدخلها الشيوعيون والاخوان المسلمين والوفديون وكتبت مقالا اعارض فكرته واقول ان هذه الوزارة. سلاطة روسية. والتقيت به بعد ذلك وهو يضحك ويقول. تأكد انها سلاطة بلدي..!

ان من حق هذا الرجل ان نطلق اسمه على الشارع الذي اطلق فيه الرصاصة الاولى للثورة. الرجل الذي قاد الطابور الاول الذي صنع نصر الثوار.

مصطفى امين

فكرة!

اليوم مر على قيام ثورة ٥٢ اربعة واربعون عاما. وللثورة امجاد واخطاء ونخطىء اذا تصورنا ان الثورة لها امجاد فقط وليس فيها اخطاء، ونخطىء ايضا اذا تصورنا ان كلها اخطاء وليس فيها امجاد، يجب ان نذكر للثورة انها نفذت ارادة الشعب المصرى بالخلاص من الملك فاروق ونذكر لها انها حاربت الاستعمار لا فى مصر وحدها بل فى كل البلاد العربية وشمال افريقيا ونذكر لها انها حاربت الاقطاع.

ولكننا فى الوقت نفسه يجب ان نسجل انها ظلمت قائد الثورة محمد نجيب عندما انكرت دوره الكبير وعندما جردته من تاريخه وعندما منعت ذكر اسمه سنوات طويلة وعندما القت به فى السجن اكثر من عشرين سنة. ولم يكن هذا خطأ الثورة وحدها بل كان خطؤنا جميعا عندما تحمسنا للثورة ودافعنا عن هذا الظلم. ولاول مرة بدانا نكفر عن هذا الخطأ عندما قررنا ان نذكر اسم محمد نجيب لاول مرة عندما بدانا مشروع انشاء متحف لمجلس الثورة فى الجزيرة.

فى هذه المناسبة ايضا يجب ان نذكر دور يوسف صديق الذى كان احد ابطال ٢٣ يوليو ثم اقصاه من منصبه ودور عبدالمنعم امين ودور خالد محيى الدين وان نشيد بعبداللطيف بغدادى وكمال الدين حسين وانور السادات وزكريا محيى الدين وجمال سالم وصلاح سالم وعبدالحكيم عامر وحسين الشافعى وحسن ابراهيم. كل هؤلاء وعلى راسهم الرئيس جمال عبدالناصر وضعوا رءوسهم على ايديهم وهم يقودون ثورة مصر التى حررت مصر من الاحتلال الاجنبى.

ومهما كانت الاخطاء التى وقعت والمظالم التى ارتكبت فإنها لا يمكن ان تنسينا الامجاد التى تحققت. وغلطة الثورة الكبرى هى حكم الفرد والديكتاتورية وغياب حقوق الانسان المصرى فترة طويلة من الزمن، والحمد لله اننا بدانا نصلح هذه الاخطاء. وصحيح ان خطواتنا بطيئة. ولكن المهم انها مستمرة وان الشعب المصرى مصر على الحرية والديموقراطية الحقيقية وحقه ان يحكم نفسه بنفسه.

مصر لن تنسى فضل اى رجل خدمها وضحى من اجلها.

وفى ميدان التضحية متسع للجميع.

مصطفى امين

المصادر

١- مذكرات يوسف صديق.
٢- أوراق يوسف صديق لـ د.عبدالعظيم رمضان.
٣- «يوسف صديق وجمال عبدالناصر وأنا» لـ علية توفيق.
٤- يوسف صديق منقذ ثورة يوليو لـ محمد الأزهرى.
٥- مذكرات محمد نجيب «كنت رئيسا لمصر» و«كلمتى للتاريخ».
٦- مذكرات خالد محيى الدين «الآن أتكلم».
٧- مذكرات عبد اللطيف بغدادى.
٨- قصة ثورة يوليو لـ أحمد حمروش.
٩- ما لاتعرفه عن ثورة يوليو لـ لطفى عبد القادر.
١٠- أطول يوم فى تاريخ مصر لـ جمال حماد.
١١- من يكتب تاريخ ثورة يوليو لـ فاروق جويدة.
١٢- محاكمة ثورة يوليو لـ محمد الجوادى.
١٣- ثورة يوليو وعقل مصر لـ أحمد حمروش.
١٤- ناهد والملك فاروق.
١٥- مصر والعروبة وثورة يوليو.
١٦- ثورة يوليو والحقيقة الغائبة.
١٧- مقالات وأخبار عن البطل يوسف صديق بالصحافة المصرية.

١٨- بعض أبناء وأقارب البطل يوسف صديق.

ـ السيدة سهير يوسف صديق.

ـ عميد/ توفيق محمد توفيق.

ـ محاسب/ أيمن سعيد الأزهرى.

١٩- بعض أهالى قرية زاوية المصلوب مسقط رأس يوسف صديق.

٢٠ - بعض مواقع الإنترنت والفيس بوك.

□□□